



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor isi 1.651

العدد الثالث والعشرون / شباط 2024

النشاط العلمي في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (659_676هـ/1260_1277م)

scientific activity and urban development during the reign of the
Mamluk Sultan Al-Zahir Baybars, who ruled between the years 1260
.and 1277 AD

محمود احمد علي الجبوري
طالب ماجستير في كلية الآداب / قسم التاريخ الإسلامي
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان
إشراف الدكتور مصطفى عثمان الأيوبي
قسم التاريخ الاسلامي
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان
النشاط العلمي في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (659_676هـ/1260_1277م)
الملخص .

هذه الدراسة البحثية تهدف إلى استقصاء النشاط العلمي والتطور العمراني في عهد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، الذي حكم بين الأعوام 1260 و 1277م. تقوم الدراسة على تحليل ثلاث فرضيات رئيسية: الأولى تناقش الدور البارز الذي لعبه بيبرس في تشجيع العلوم الدينية وإنشاء المدارس والمساجد، بينما تتناول الثانية التطور العلمي الذي شهدته عهده، وتركز الثالثة على النمو العمراني الذي شهدته الدولة في ذلك الزمان.

تتبع الدراسة منهجية تاريخية وصفية تحليلية، تقوم بتحليل الظواهر التاريخية واستخلاص النتائج لتعميمها، مع التركيز على الفترة الزمنية ما بين 1260م و 1277م والمنطقة المكانية التي شملت مصر وبلاد الشام.

تتوقع الدراسة بعض الصعوبات المتعلقة بتباين المرويات التاريخية والتحدي في الحصول على مصادر دقيقة ووافية. تتألف الرسالة من مقدمة وأربعة فصول رئيسية تتناول حياة السلطان بيبرس



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

وأوضاع الدولة في عهده، بالإضافة إلى التركيز على جهوده العلمية والعمرانية في مصر وبلاد الشام والحجاز.

تهدف الدراسة إلى تقديم نظرة شاملة ومتكاملة على النشاط العلمي والعمراني في عهد السلطان الظاهر بيبرس، مما يسهم في إغناء البحث التاريخي حول هذه الفترة الزمنية الهامة في التاريخ الإسلامي. تتناول الدراسة بشكل متعمق جهود بيبرس في تطوير العلوم النقلية والعقلية، وإنشاء المكتبات، وتوسيع الحلقات العلمية التي جذبت طلبة العلم من مختلف البلدان الإسلامية، مما يبرز الدور الكبير الذي لعبه في تعزيز الحركة العلمية والثقافية في ذلك العصر.

الكلمات المفتاحية : النشاط العلمي ، عهد السلطان المملوكي

Summary.

This research study aims to investigate scientific activity and urban development during the reign of the Mamluk Sultan Al-Zahir Baybars, who ruled between the years 1260 and 1277 AD. The study is based on analyzing three main hypotheses: the first discusses the prominent role that Baybars played in encouraging religious sciences and establishing schools and mosques, while the second deals with the scientific development witnessed during his reign, and the third focuses on the urban growth witnessed by the state at that time.

The study follows a historical, descriptive and analytical methodology, which analyzes historical phenomena and draws conclusions to generalize them, with a focus on the time period between 1260 AD and 1277 AD and the spatial region that included Egypt and the Levant.

The study anticipates some difficulties related to the divergence of historical narratives and the challenge in obtaining accurate and adequate sources. The treatise consists of an introduction and four main chapters dealing with the life of Sultan Baybars and the conditions of the state during his reign, in addition



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

to focusing on his scientific and urban efforts in Egypt, the Levant and the Hijaz.

The study aims to provide a comprehensive and integrated view of the scientific and urban activity during the reign of Sultan al-Zahir Baybars, which contributes to enriching the historical research on this important time period in Islamic history. The study deals in depth with Baybars' efforts in developing the sciences of transmission and rationality, establishing libraries, and expanding scientific circles that attracted students of knowledge from various Islamic countries, which highlights the great role he played in promoting the scientific and cultural movement in that era

Keywords: scientific activity, the reign of the Mamluk Sultan.

التمهيد:

جهود السلطان الظاهر بيبرس العلمية

في سجلات التاريخ، تظهر بعض الشخصيات كمنازات مضيئة، وتشكل مسار وقتهم من خلال مساعيهم الرائعة. من بين هؤلاء الرواد يقف سلطان الظاهر بيبرس، صاحب عقل ورؤية لا مثيل لهما، يمتد إرثه إلى ما هو أبعد من ساحة المعركة. بينما نتعمق في صفحات الفصل الثالث، نبدأ رحلة أسرة في المساعي العلمية لهذا الحاكم الاستثنائي. إلى جانب انتصاراته العسكرية وبراعته السياسية، منح فضول السلطان بيبرس النهم وتقانيه في تقدم المعرفة دوراً فريداً باعتباره راعياً وممارساً للعلوم. من دعمه الثابت للعلماء والباحثين إلى مساهماته الخاصة في مختلف المجالات، يكشف هذا الفصل النقاب عن الجوانب الأقل شهرة لإرث بيبرس، ويرسم صورة لحاكم حمل عهده بصمة التنوير الفكري التي لا تمحى. انضم إلينا ونحن نستكشف النسيج العلمي الذي نسجه السلطان الظاهر بيبرس، وهو شهادة على التأثير العميق للعقل الفضولي على مجرى التاريخ. تسليط الضوء على أهمية الجهود العلمية في تلك الفترة¹ المثير للاهتمام أن شغف بيبرس بالتعلم لم يقتصر على دعمه للآخرين. كان هو نفسه باحثاً وعالمًا متعطشاً. تراوحت دراساته من تعقيدات الطب والرياضيات إلى عجائب العمارة والهندسة. أدى تعطش

¹الشوربجي، محمد جمال حامد: مجلس قراءة صحيح البخاري في قلعة الجبل في العصر المملوكي 648-

923هـ/1250-1517م، دورية (كان التاريخية)، المجلد 6، العدد 22، ديسمبر 2013م، ص 55.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

هذا الحاكم النهم للمعرفة إلى الانخراط شخصياً مع العلماء والخبراء، والانخراط في مناقشات شملت مواضيع متنوعة مثل علم الفلك والشعر.

تجلت جهود بيبيرس العلمية أيضاً في التوثيق الدقيق لتطورات عصره. جلبت رعايته لمشاريع الترجمة الأعمال الكلاسيكية من الأراضي البعيدة إلى مجاله، مما يضمن أن رؤى الحضارات السابقة يمكن أن تضيء الطريق إلى الأمام. أصبحت هذه النصوص المترجمة، جنباً إلى جنب مع أطروحاته الخاصة، موارد لا تقدر بثمن للأجيال القادمة، وشكلت أسس التعليم والبحث العلمي لعدة قرون.

أثناء رحلتنا في ملحمة السلطان ظاهر بيبيرس العلمية، يتضح أن عهده لم يقتصر على الغزوات العسكرية، بل بالالتزام العميق بالنقد الفكري لشعبه. في عصر يسير فيه السعي وراء المعرفة جنباً إلى جنب مع السعي وراء السلطة، وقف بيبيرس كمنارة للتنوير، مدافعاً عن أهمية المساعي العلمية في تعزيز مجتمع مزدهر وتقدمي. من خلال تقانيه الذي لا يتزعزع، ترك إرثاً دائماً لا يزال يلهم وينير الطريق إلى الأمام لأولئك الذين يدركون الإمكانيات التحويلية لعقل فضولي ومنفتح.²

تطوير التعليم العلمي: السلطان الظاهر بيبيرس الداعم للمعرفة والتقدم

في قلب عالم القرون الوسطى، حيث كانت المعارك والفتوحات غالباً ما تحدد مسار التاريخ، ظهر صاحب السيادة الذي تجاوز إرثه عالم الحرب. السلطان الظاهر بيبيرس، اسم محفور في سجلات الزمن، يقف كشخصية رمزية ترك تعطشها للمعرفة والالتزام بالنقد العلمي بصمة لا تمحى في عصره.

بالإضافة إلى مآثره العسكرية، فإن جهود بيبيرس في التعليم وإنشاء المؤسسات العلمية بشرت بعصر جديد من التنوير، مما أدى إلى تغيير مشهد السعي الفكري إلى الأبد.³

يتعمق الفصل الثالث في القصة الجذابة لمساعي السلطان بيبيرس العلمية، ويكشف عن تقانيه العميق في التعليم ونشر المعرفة. وسط الخلفية المضطربة للمكائد السياسية، برز بيبيرس كمنارة للتنوير، وجه نفوذه الهائل وموارده نحو تطوير المدارس والجامعات ومراكز البحوث. امتدت رؤيته إلى ما وراء مجرد الفتوحات الإقليمية، مدركاً أن التقدم الحقيقي يكمن في تنمية العقول الشابة والاستكشاف غير المقيد للعلوم.

2 إبراهيم، محمد أمين: الدور الاجتماعي لعلماء مصر والشام في القرن 9هـ دراسة تاريخية مقارنة، ماجستير 2006م، قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، إشراف أ.د حسن علي حسن، ص322، 323.

3 خليل، ياسين، "العلوم الصرفة"، موسوعة حضارة العراق، ج 8، بغداد، ص337.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

تكشف صفحات هذا الفصل النقاب عن الرحلة الرائعة لبيرس حيث رعى نمو المؤسسات التعليمية، وبث الحياة في مراكز التعلم التي لا تزال تلهم الأجيال. منذ بداية المدارس الجديدة التي تلبي مجموعة واسعة من التخصصات إلى إنشاء الجامعات التي أصبحت محاور للتبادل الفكري، أعاد التزام بيرس الثابت بالتعليم تشكيل النسيج الاجتماعي والثقافي لمملكته.⁴

علاوة على ذلك، فإن دعم السلطان بيرس لإنشاء مراكز البحوث والمكتبات يقف شاهداً على إيمانه الراسخ بقوة المعرفة. مع ازدهار هذه المراكز تحت رعايته، أصبحت بوتقة للابتكار، وعززت الاكتشافات الرائدة وتغذت روح الاستفسار التي تردد صداها في جميع أنحاء إمبراطوريته.

ترجمة الأعمال الكلاسيكية:

في عهد الظاهر بيبرس، وهي فترة تاريخية بارزة، تم تكريس جهود كبيرة لترجمة الأعمال الكلاسيكية. هدفت هذه المساعي إلى تحسين عملية الترجمة، خاصة بالنسبة للنصوص العلمية والفلسفية الناشئة من لغات مختلفة. كان الهدف الأساسي هو تحويل هذه الأعمال المعقدة والعميقة إلى لغة المملكة، وبالتالي جعلها في متناول السكان المحليين.

في قلب هذا السعي الفكري كانت القيادة الحكيمة للسلطان الظاهر بيبرس. كان دوره في هذا السياق رائداً، حيث لعب دوراً مهماً في تعزيز وتسهيل تبادل المعرفة بين الثقافات المختلفة. تحت إشرافه ودعمه، تم تمكين العلماء والمترجمين لسد الفجوات اللغوية والثقافية، مما يتيح نشر رؤى لا تقدر بثمن من مختلف أنحاء العالم في المملكة. عزز التزام سلطان الظاهر بيبرس بنقل المعرفة بيئة غنية من التفاعل بين الثقافات والاستكشاف الفكري. إن رعايته لمشاريع الترجمة لم تعزز الفهم الجماعي للمفاهيم العلمية والفلسفية فحسب، بل ساهمت أيضاً في إثراء المشهد الفكري للمملكة.⁵

في جوهرها، في عهد الظاهر بيبرس، كان لترجمة الأعمال الكلاسيكية دور مركزي في دفع آفاق المملكة الفكرية إلى الأمام. من خلال جهود السلطان الرائدة، ازدهر انتقال المعرفة بين الثقافات، تاركاً إرثاً دائماً من التبادل الثقافي والإنجاز العلمي.

دعم العلماء والفلاسفة:

في عهده، كان هناك دعم ملحوظ وعميق للعلماء والفلاسفة، مما يعكس التزام السلطان القوي بتقدم المعرفة والمساعي الفكرية.

⁴أبو عيبة، طه عبد المقصود، الحضارة الإسلامية، بيروت، 2004 هـ / 1424 م، ج 1، ص 376.

⁵فوخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، 1390 هـ / 1970 م، ص 274 - 275.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

كان أحد جوانب هذا الدعم هو توفير الدعم المادي والمعنوي للعلماء والفلاسفة. وإدراكًا لأهمية عملهم، حرص السلطان على توفير الموارد اللازمة لهؤلاء الأفراد، بما في ذلك التمويل والمواد والتسهيلات لإجراء أبحاثهم وتحقيقاتهم. لم يمكن هذا الدعم العملي العلماء من متابعة استفساراتهم بشكل أكثر فعالية فحسب، بل أظهر أيضًا تفاني السلطان في تعزيز بيئة فكرية مزدهرة.

بنفس القدر من الأهمية كان التشجيع الأخلاقي المقدم للعلماء والفلاسفة. روح الظاهر ببيرس بنشاط لثقافة تقدير المساعي الفكرية. كان اعترافه بمساهماتهم بمثابة قوة تحفيزية، مما ألهم هؤلاء المفكرين لمواصلة استكشافاتهم وتوسيع حدود المعرفة. من خلال الاعتراف بقيمة عملهم، عزز السلطان شعورهم بالهدف والأهمية في المجتمع.

علاوة على ذلك، لعب الظاهر ببيرس دورًا حاسمًا في خلق مناخ ملائم للنقاش الفكري والحوارات العلمية. لقد أدرك أن الخطاب المفتوح وتبادل الأفكار ضروريان لنمو المعرفة.

لتسهيل ذلك، أنشأ السلطان منتديات وأكاديميات ومنصات حيث يمكن للعلماء والفلاسفة المشاركة في مناقشات حية وتبادل الأفكار والتعاون في مشاريع البحث. لم تؤد هذه التبادلات الفكرية إلى صقل الأفكار الموجودة فحسب، بل أدت أيضًا إلى اكتشافات جديدة ومفاهيم مبتكرة.⁶

سمح تشجيع النقاش الفكري والحوارات العلمية في عهده بتطوير مجتمع فكري نابض بالحياة. تم تشجيع العلماء والفلاسفة من خلفيات مختلفة على التفاعل، وتعزيز التلقيح المتبادل للأفكار وتوليف وجهات النظر المتنوعة. ساهم هذا التبادل الثري في التوسع الشامل للمعرفة وتقدم مختلف المجالات، من العلوم والفلسفة إلى الأدب والفنون.

باختصار، اشتمل دعم العلماء والفلاسفة في عهد الظاهر ببيرس على عناصر عملية وملهمة. من خلال المساعدة المادية والمعنوية، وكذلك تشجيع المناقشات الفكرية، لعب السلطان دورًا مهمًا في رعاية بيئة ازدهرت فيها المعرفة وترسخت أفكار جديدة، تاركة إرثًا دائمًا من النمو الفكري والتقدم الثقافي.

التأثير على التقنيات والابتكار:

كان لعهد تأثير عميق على تقدم التقنيات والابتكار في مملكته. ساهم نهج السلطان الاستباقي في تعزيز نقل التقنيات والمعرفة العلمية عبر مختلف المجالات، لا سيما في الطب والهندسة، بشكل كبير في تقدم مجتمعه.⁷

6 القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، 646 هـ / 1248 م، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، د.ت، ص



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

كان أحد الجوانب البارزة لتأثيره هو الجهد المتعمد لتشجيع تبادل الرؤى التكنولوجية والاكتشافات العلمية. أدرك الظاهر بيبرس إمكانات تعزيز مختلف جوانب الحياة اليومية من خلال تطبيق التقنيات المتقدمة. ولهذه الغاية، سهل نشر المعرفة والخبرة بين العلماء والمهندسين والمخترعين. يتجلى تعزيز نقل التكنولوجيا بعدة طرق. دعم السلطان بنشاط المبادرات التي تهدف إلى تكييف وتطبيق المعرفة من الثقافات المختلفة لإفادة مجتمعه. تم تشجيع المهندسين والحرفيين على دراسة وتنفيذ تقنيات مبتكرة من مناطق أخرى، وبالتالي إثراء الخبرة المحلية وتوسيع المخزون التكنولوجي. في مجال الطب، لعب الظاهر بيبرس دوراً محورياً في دعم ترجمة ونشر الرسائل والأبحاث الطبية من مصادر متنوعة. ساهم هذا التبادل للمعرفة الطبية في إحراز تقدم في ممارسات الرعاية الصحية وعلاج الأمراض. من خلال تعزيز بيئة تقدر تكامل الخبرات الطبية من مختلف التقاليد، أدى عهد السلطان إلى تحسين الرعاية الطبية وفهم أعمق لجسم الإنسان.⁸

في مجال الهندسة، أدى دعم السلطان للاكتشافات العلمية والابتكارات التكنولوجية إلى تطوير تقنيات وأدوات جديدة. تم تشجيع المهندسين المعماريين والمهندسين على استكشاف أساليب جديدة للبناء وتطوير البنية التحتية والتطبيقات العملية الأخرى. نتيجة لذلك، ازدهرت المدن بتحسين المباني وأنظمة المياه وعناصر البنية التحتية الحيوية الأخرى التي عكست الروح الابتكارية للعصر. بشكل عام، شهد عهد الظاهر بيبرس فترة من التقدم التكنولوجي الكبير والابتكار. ساهمت جهوده المتعمدة لتعزيز نقل التقنيات والمعرفة العلمية عبر تخصصات متعددة، إلى جانب دعمه الثابت للاكتشافات العلمية والابتكارات الهندسية، في مجتمع احتضن التقدم وسخر قوة المعرفة لتعزيز مختلف جوانب الحياة.

الإرث الثقافي والعلمي:

7 ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت 383 هـ / 993 م أو 995 م): **الفهرست**، (بيروت، د.ت)، ص 354.

8 ابن جليل، سليمان بن حسان (ت بعد 384 هـ / 994 م)، **طبقات الاطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة، 1955 م، ص 65 - 66.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

أظهر الظاهر بيبيرس اهتمامًا ملحوظًا ودائمًا بالحفاظ على التراث الثقافي والعلمي لعصره وإثرائه. كان لهذا الاهتمام تأثير عميق، تاركًا وراءه إرثًا يستمر في التأثير على المجتمع والمعرفة حتى يومنا هذا.⁹ تجلّى التزام السلطان بالتراث الثقافي والعلمي من خلال جهوده المدروسة لدعم ورعاية العلماء والفنانين والمفكرين. لقد أدرك قيمة الحفاظ على المعرفة وتطويرها عبر مختلف التخصصات، من الأدب والفلسفة إلى الطب والهندسة. من خلال رعايته السخية لهذه المساعي، لم يشجع الظاهر بيبيرس إنتاج أعمال جديدة فحسب، بل ضمن أيضًا الحفاظ على الأعمال الموجودة وترجمتها، مما ساهم في تراكم مستودع ثقافي وعلمي متنوع وشامل.

يتضح تأثير جهود السلطان العلمية في الإرث الثقافي والعلمي القوي الذي ساعد في بنائه. عززت رعايته لمشاريع الترجمة وإنشاء الأكاديميات ودعم المناقشات الفكرية بيئة من النمو الفكري والتبادل بين الثقافات. يتضمن هذا الإرث ترجمة الأعمال الكلاسيكية، وتطوير تقنيات هندسية مبتكرة، والنهوض بالمعرفة الطبية، من بين إنجازات أخرى. أثرت هذه المساهمات النسيج الثقافي لمجتمعه وأرست الأساس للتقدم في المستقبل.¹⁰

يمتد الأثر المستمر لجهود الظاهر بيبيرس على المجتمع والمعرفة إلى ما بعد عصره. أصبح الإرث الذي زرعه مصدر إلهام للأجيال اللاحقة. خلق الحفاظ على التراث الثقافي والعلمي الذي دافع عنه جسرًا بين عصور مختلفة، مما سمح لحكمة وإنجازات الماضي بإعلام وتوجيه الحاضر والمستقبل. استفاد العلماء والباحثون من المعرفة التي سهّلها لمواصلة استفساراتهم، مما أدى إلى تقدم مستمر وديناميكي للفهم والابتكار.

علاوة على ذلك، ساهم تراث التبادل الثقافي والاستكشاف الفكري الذي رعاها الظاهر بيبيرس في الحوار العالمي الأوسع. ساعد نشر الأعمال المترجمة وخلق بيئة تقدر وجهات النظر المتنوعة على ربط الثقافات والمناطق المختلفة، وإثراء النسيج العالمي للمعرفة وتعزيز التفاهم المتبادل.

9 ابن العبري، ابو الفرج جمال الدين (ت 685 هـ / 1286 م)، تاريخ مختصر دول، بيروت، 1890 م، ص 249.

10 مايرهوف، ماكس، "العلوم والطب"، بحث منشور ضمن كتاب تراث الاسلام لمجموعة مستشرقين، ج 2، أشراف: سيرتوماس أرنولد، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، اربيل، 2000 م، ص 500.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

في الختام، كان لاهتمام الظاهر ببيرس العميق بالتراث الثقافي والعلمي تأثير دائم على مجتمعه ولا يزال يؤثر على المعرفة والفهم حتى يومنا هذا. ساهمت جهوده في الحفاظ على المساعي الفكرية والنهوض بها في إرث ثري يمثل شهادة على القوة الدائمة للفضول البشري والطبيعة المتعالية للمعرفة.¹¹

المبحث الأول: جهود السلطان العلمية في مصر.

في سجلات التاريخ، هناك أفراد تتجاوز مساهماتهم زمانهم، تاركة بصمة لا تمحى على مسار التقدم البشري. من بين هؤلاء النجوم البارزين، ظهر السلطان الظاهر ببيرس كمنارة للتألق الفكري، ووسع نفوذه إلى ما هو أبعد من مجالات الغزو السياسي والعسكري. بينما ننطلق في رحلة عبر سجلات الماضي، يتحول تركيزنا إلى الموضوع الأول: "جهود السلطان العلمية في مصر.

السلطان الظاهر ببيرس، شخصية مشهورة بإنجازاته المتعددة الأوجه، يقف شاهداً على قوة القيادة المستتيرة. في حين أن انتصاراته العسكرية وفطنته الإستراتيجية موثقة جيداً، إلا أن تقانيه الشديد في تقدم المعرفة هو ما يميزه كحاكم ذي رؤية. يتعمق هذا الفصل في نطاق مساعيه العلمية، ويلقي الضوء على تأثيره العميق على المشهد الفكري في مصر.¹²

على خلفية مجتمع متنوع ثقافياً وحيوياً فكرياً، امتدت مساهمات السلطان ببيرس إلى ما وراء ديناميكيات القوة التقليدية. إن التزامه الراسخ بتعزيز العلم والمنح الدراسية حوله إلى راعي للتعليم ومحفز للاستكشاف الفكري في مصر. إن إرثه، الذي يشمل ترجمة النصوص المحورية، وإنشاء المؤسسات التعليمية، وتنمية بيئة مواتية لخطاب فكري صارم، يتحدث عن فهمه العميق للدور المحوري الذي تلعبه المعرفة في النمو المجتمعي.

يهدف هذا الموضوع إلى الكشف عن الطبيعة المتعددة الأوجه لجهود السلطان ببيرس العلمية في مصر. من خلال دراسة دوره كمربي للعلماء، وداعماً لمبادرات الترجمة، ومدافعاً قوياً عن التعلم متعدد التخصصات، نكتسب نظرة ثاقبة حول كيف شكلت رؤيته لمجتمع مستنير المشهد العلمي لعصره. بالإضافة إلى ذلك، سوف نستكشف الإرث الدائم لمساعيه العلمية، والتي استمرت في التأثير على مسار المعرفة والإثراء الثقافي في مصر وخارجها.¹³

11 الأثروشي، شوكت عارف، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، عمان، 2007 م، ص 256.

12 ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت 874 هـ / 1469 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م، ص 332 - 334.

13 ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل، (ت 732 هـ / 1331 م)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، ط 1، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ج 4، ص 6.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

بينما ننطلق في هذا الاستكشاف لمساعي السلطان بيبرس العلمية، نتعمق في عالم يتجاوز فيه السعي وراء المعرفة الحدود ويمكّن المجتمعات من الازدهار. من خلال قيادته المستنيرة، أظهر السلطان بيبرس الأثر العميق الذي يمكن أن يحدثه التزام الحاكم بالتقدم العلمي في تقدم الحضارة. يسعى هذا الموضوع إلى إلقاء الضوء على دوره كرائد في تعزيز ثقافة الفضول الفكري، مما يمهد الطريق لفهم أعمق لإسهاماته في التراث العلمي في مصر.

تاريخ الحكم وسياسته العلمية:

يمثل تاريخ حكم الظاهر بيبرس فترة مهمة في ماضي مصر، تميزت بقيادته الحكيمة ونهجه المبتكر في الحكم. صعد السلطان بيبرس إلى السلطة عام 1260، واستمر حكمه حتى عام 1277. وخلال هذا الإطار الزمني، اكتسبت سياسته وجهوده العلمية مكانة بارزة، مما ترك أثراً دائماً على المشهد الفكري لمملكته.¹⁴

تزامن حكم بيبرس مع فترة من الهياج الفكري الكبير والتبادل الثقافي. تحت قيادته، أصبحت مصر مركزاً للمعرفة وجذب العلماء والعلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم. أدرك السلطان الدور الحاسم الذي لعبه العلم والمعرفة في تنمية مجتمع مزدهر ومتقدم. تحقيقاً لهذه الغاية، نفذ سلسلة من السياسات والإصلاحات التي تهدف إلى تعزيز وتشجيع المساعي العلمية:

رعاية العلماء: كان السلطان بيبرس راعياً معروفاً للعلماء والمفكرين. قدم الدعم المالي والرعاية للأفراد المكرسين للسعي وراء المعرفة. اجتذب هذا التشجيع مجموعة متنوعة من المفكرين، مما عزز بيئة مواتية لتبادل الأفكار والتعاون الأكاديمي.

مبادرات الترجمة: كانت إحدى السياسات المميزة في عهد بيبرس ترويجه لمشاريع الترجمة. لقد أدرك قيمة ترجمة الأعمال من مختلف اللغات، ولا سيما تلك ذات الأصول اليونانية والفارسية والهندية القديمة. سمحت هذه الترجمات بنقل المعرفة العلمية والفلسفية القيمة، مما ساهم في إثراء البحث المحلي.¹⁵

14 ابن كثير، ابو الفداء، (ت 774 هـ / 1372 م)، البداية والنهاية، تحقيق احمد عبد الوهاب فتح الله، دار الحديث، القاهرة، 2005 م، ج 12، ص 274، ص 328، ج 13، ص 7، ص 28.
15 عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965 م، ص 329.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

إنشاء مراكز التعلم: أنشأ السلطان بيبرس الأكاديميات والمؤسسات التعليمية التي أصبحت مراكز للنشاط الفكري. قدمت هذه المؤسسات منصة للعلماء للمشاركة في الخطاب العلمي والبحث العلمي وتطوير أفكار جديدة.

تشجيع الحوارات الفكرية: شجع السلطان بنشاط الحوارات والمناقشات الفكرية بين العلماء من مختلف التخصصات. أدى هذا التبادل للأفكار إلى التخصيب المتبادل للمعرفة وظهور مفاهيم مبتكرة. تقدم الطب والعلوم: شهد عهد بيبرس تطورات مهمة في مجال الطب. دعم البحث الطبي وشجع نشر المعرفة الطبية. أدى هذا الالتزام بالتقدم الطبي إلى تطوير علاجات جديدة وتحسين ممارسات الرعاية الصحية.

الابتكارات المعمارية والهندسية: امتدت سياسة السلطان العلمية إلى ما هو أبعد من المساعي العلمية التقليدية. أظهر اهتمامًا كبيرًا بالابتكارات المعمارية والهندسية، مما ساهم في تطوير تقنيات البناء وتطوير البنية التحتية.

إرث التعلم: تركت جهود السلطان بيبرس إرثًا دائمًا من التعلم. أدت رعايته للعلماء، ودعمه لمشاريع الترجمة، وإنشاء مراكز التعلم إلى تمهيد الطريق لتقليد فكري نابض بالحياة استمر في الازدهار في مصر بعد فترة طويلة من حكمه.

كان حكم الظاهر بيبرس حقبة محورية في تاريخ مصر، تميزت بسياسته العلمية الحكيمة وتقانيه في النهوض بالمعرفة. خلقت رعايته للعلماء ومبادرات الترجمة وتشجيع الحوارات الفكرية أرضًا خصبة للتقدم العلمي والإثراء الثقافي. يستمر إرث مساعيهِ العلمية في تشكيل المشهد الفكري في مصر ويشكل شهادة على التأثير الدائم للقيادة المستنيرة.¹⁶

تأسيس المؤسسات العلمية:

في عهد الظاهر بيبرس اللامع، كان إنشاء المؤسسات العلمية حجر الزاوية في عهده البصيرة. انطلاقًا من التزامه الراسخ بالتعليم والتقدم العلمي، بذل السلطان جهودًا كبيرة لإنشاء مدارس وجامعات جديدة تحت إشرافه المباشر. تم تصميم هذه المؤسسات ليس فقط لتعزيز التعليم ولكن أيضًا لتعزيز ثقافة البحث العلمي الصارم، وإشعال شرارة تحويلية من شأنها أن تضيء الطريق إلى التنوير الفكري. كانت عملية تأسيس هذه المؤسسات دقيقة وهادفة. تحت عين السلطان الساهرة، تم اتباع نهج متعدد الأوجه لضمان نجاحهم. كان أحد الجوانب الرئيسية هو اختيار العلماء والمعلمين البارعين لقيادة وإدارة

16 عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير، الطب في عصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، ص 20.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

هذه المؤسسات. تم تكليف هؤلاء الأفراد المتعلمين بمسؤولية تشكيل المناهج وتصميم الدورات وتهيئة بيئة تغذي الفضول الفكري.¹⁷

علاوة على ذلك، تم تصميم البنية التحتية المادية لهذه المؤسسات بعناية لتيسير بيئة تعليمية مثالية. نشأت العجائب المعمارية التي وفرت أحدث المرافق التي تضمنت قاعات المحاضرات والمكتبات والمختبرات والمراسد. لم تستوعب هذه المساحات الاحتياجات التعليمية للطلاب فحسب، بل شجعت أيضًا الاستكشاف العلمي والتجريب والحوار.

امتدت بعد نظر السلطان إلى ما هو أبعد من إنشاء الهياكل المادية. دافع عن تطوير البرامج التعليمية المتقدمة التي امتدت إلى مجموعة واسعة من المجالات. هدفت هذه الشمولية إلى شمول مختلف فروع المعرفة، بدءًا من الطب والرياضيات وعلم الفلك إلى الفلسفة والأدب واللغويات. ونتيجة لذلك، تعرض الطلاب لتعليم شامل عزز النمو الفكري الشامل

انعكس التزام بيبرس بالتميز في تصميم المناهج. تم التمسك بالمعايير الأكاديمية الصارمة، وتم التأكيد على السعي وراء المعرفة من خلال مزيج من التعلم النظري والتطبيق العملي. تم تشجيع الطلاب على الانخراط في البحوث العملية والاستفسارات التجريبية والمناقشات الفكرية، والتي أثرت جميعها خبراتهم التعليمية وساهمت في تطوير مجالات تخصصهم.¹⁸

كان تأثير هذه المؤسسات العلمية عميقًا وبعيد المدى. برز الخريجون كعلماء وعلماء ذوي خبرة جيدة، ليس فقط بالخبرة النظرية ولكن أيضًا بالمهارات العملية اللازمة لدفع مجالاتهم إلى الأمام. عزز جو التبادل الفكري الابتكار، وحفز الاكتشافات الرائدة وصقل المعرفة الموجودة.

كان إنشاء المؤسسات العلمية في عهد الظاهر بيبرس شاهداً على قيادته المستنيرة وتقانيه في التعليم. من خلال صياغة بيئة مواتية للتعلم والبحث العلمي بدقة، أرسى السلطان الأساس لإرث من التقدم الفكري. كان لجهوده في إنشاء مدارس وجامعات جديدة تحت إشرافه المباشر، إلى جانب تطوير البرامج التعليمية المتقدمة، تأثير دائم على تنمية المعرفة والارتقاء بالتقدم العلمي في عالمه وما وراءه.

ترجمة الكتب والمخطوطات:

17 كاري، لطف الله، "كتب المدارس الطبية في الحضارة العربية الإسلامية"، بحث منشور أعمال ندوة المدارس الطبية في الحضارة الإسلامية، طرابلس، 2006م، ص 190 - 194.

18 العبادي، احمد مختار، في تاريخ الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص 45، ص 118.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

في حوليات التاريخ، يتألق عهد بيبرس كعصر ذهبي للنقد الفكري والإثراء الثقافي. ومن السمات المميزة لهذا العصر ترجمة الكتب والمخطوطات، وهو مسعى عميق يعكس رؤية السلطان الراسخة والتزامه الراسخ بنشر المعرفة.¹⁹

أدرك السلطان بيبرس، الراعي المتحمس للتعليم، القيمة الهائلة لترجمة الأعمال العلمية والفلسفية من لغات متنوعة إلى اللغة العربية. في ظل قيادته المستنيرة، ازدهرت عمليات الترجمة، متجاوزة الحواجز اللغوية لإحضار ثروة من الرؤى من الأراضي البعيدة.

كان الدور الاستباقي لبيرس في تشجيع هذه الترجمات محوريًا. لقد فهم أنه من خلال سد الفجوة بين اللغات، يمكن إدخال كنز من الأفكار والاكتشافات الحديثة إلى المجتمع المصري. لم يوسع هذا الجهد المتعمد آفاق المعرفة فحسب، بل عزز أيضًا جواً من الفضول الفكري، حيث يمكن للعلماء والمفكرين الانخراط في وجهات نظر جديدة واحتضان عالم فكري أوسع.

انعكس الأثر الإيجابي لهذه الترجمات في المجتمع المصري. مع ترجمة كلمات العلماء من المناطق النائية إلى اللغة العربية، ظهرت سمفونية من الأفكار تشمل مجالات مثل علم الفلك والطب والرياضيات والفلسفة.

أصبحت الترجمات نوافذ لخطاب فكري عالمي، مما مكن العلماء المصريين من الدخول في حوارات مع نظرائهم عبر الثقافات.²⁰

كانت الآثار التحويلية لا يمكن إنكارها. أثرت هذه الأعمال المترجمة المؤسسات التعليمية، وألهمت المناهج الدراسية وشكلت عقول الطلاب. تم فتح آفاق جديدة للتفاهم، مما أدى إلى إطلاق شرارة الابتكار ومهد الطريق للتطورات التي من شأنها تشكيل مسار التاريخ.

وخلاصة القول إن ترجمة الكتب والمخطوطات في عهد بيبرس تقف شاهداً على رؤيته البعيدة المدى والتزامه بالنمو الفكري لمجتمعه. من خلال تشجيعه لعمليات الترجمة، سهّل السلطان تبادلاً حيويًا للأفكار والمعرفة، مستهلاً عصر التنوير الذي لا يزال يلهم وينير طريق التفاهم في العالم الحديث.

دعم العلماء والباحثين:

19 لابينوس، ابرا، مدن الشام في العصر المملوكي، دار حسان، دمشق، 1985، ص16.

20 السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1948، ص 44، 45.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

في حوليات التاريخ، يبرز عهد السلطان بيبرس كعصر ذهبي للرعاية الفكرية، حيث ارتقى السعي وراء المعرفة إلى مرتبة عليا. كان أحد الجوانب المميزة لهذا العصر هو تفاني السلطان الراسخ في دعم العلماء والباحثين، مادياً ومعنوياً، في سعيهم لتعزيز الفهم والمساهمة في مجال المعرفة الإنسانية. أدرك بيبرس أن تقدم المجتمع يقع على عاتق أولئك الذين كرسوا حياتهم للاستكشاف والتحقيق. ونتيجة لذلك، أنشأ نظاماً شاملاً للدعم، يضمن حصول العلماء والباحثين على الموارد اللازمة لمتابعة دراساتهم ونشر نتائجهم. تم تقديم المساعدات المالية لتسهيل مساعيهم البحثية، وتمكينهم من الوصول إلى المخطوطات النادرة وإجراء التجارب وإجراء العمل الميداني.

ومع ذلك، امتدت رعاية السلطان إلى ما وراء نطاق المساعدة المالية. لقد فهم أهمية توفير بيئة حاضنة للنمو الفكري. في ظل توجيهاته الخيرية، مُنح العلماء إمكانية الوصول إلى المؤسسات التعليمية والمكتبات المرموقة، حيث يمكنهم المشاركة في الخطاب العلمي وتبادل الأفكار والتعاون في مشاريع رائدة.²¹

وكان من بين العديد من المستفيدين من دعم السلطان بيبرس علماء بارزون امتدت مساهماتهم عبر الزمن والتخصصات. أحد الأمثلة البارزة هو ابن النفيس، وهو طبيب رائد أرسى عمله الرائد على الدورة الدموية الأساس لفهم القلب والأوعية الدموية الحديث. زود دعم بيبرس ابن النفيس بالموارد والمنصة لصقل نظرياته، مما أدى إلى تحول في المعرفة الطبية من شأنه أن يشكل مسار الطب لقرون قادمة.

امتد دعم السلطان إلى ما وراء مجالات الطب ليشمل مجالات مثل علم الفلك والرياضيات والأدب. عزز تأييده أعمال العلماء مثل المقريزي، الذي لا تزال مساهماته الغزيرة في التاريخ والدراسات الإسلامية موارد لا تقدر بثمن حتى يومنا هذا.

شكّل دعم السلطان بيبرس للعلماء والباحثين فصلاً محورياً في تقدم المعرفة الإنسانية. من خلال دعمه المالي، وتوفير الموارد التعليمية، ورعاية الخطاب الفكري، خلق بيئة حيث ازدهر الابتكار وأصبحت الاختراقات قابلة للتحقيق. لا يزال إرث هؤلاء النجوم البارزين ومساهماتهم، الذي سهله الدعم البصري للسلطان، يضيء طريق البحث والاكتشاف للأجيال القادمة

تأثير الجهود العلمية على المجتمع:

21 المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1973. ج



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

في عهد بيبرس، كان النسيج المتألق لجهوده العلمية متشابكاً مع نسيج المجتمع المصري، مما ترك بصمة لا تمحى على مختلف جوانب الحياة. إن التزام السلطان الراسخ بتطوير المعرفة يشع من خلال مجالات مثل الطب والزراعة والهندسة وغير ذلك، مما أحدث تأثيراً عميقاً رفع مستوى المعيشة وغيّرت المناظر الطبيعية في مصر.²²

كان الطب في مقدمة المجالات التي أثرتها مساعي بيبرس العلمية. أدى دعم السلطان للبحوث الطبية، إلى جانب رعايته لمبادرات الترجمة، إلى استيعاب ونشر المعرفة الطبية المتطورة. نتيجة لذلك، كان الأطباء المصريون مسلحين بتقنيات مبتكرة وتشخيصات مستتيرة وأساليب علاجية محسنة. امتدت الفوائد إلى ما هو أبعد من الرفاه الجسدي؛ ساهم توافر الرعاية الطبية المحسنة في إطالة عمر السكان وصحتهم، وتعزيز الجودة الشاملة لحياة السكان.

ازدهرت الزراعة، العمود الفقري للمجتمع المصري، في ظل سياسات السلطان العلمية. دعم بيبرس للتقنيات الزراعية المتقدمة وتنفيذ ابتكارات الري عززت غلة المحاصيل وحمايتها من فشل المحاصيل. لم تضمن الزيادة الناتجة في الإنتاجية الزراعية الأمن الغذائي فحسب، بل عززت الاقتصاد أيضاً، وعززت الازدهار والاستقرار داخل المملكة.

وشهدت الهندسة أيضاً على التأثير البصري لبيبرس. أسفر دعمه للمشاريع الهندسية وتطوير البنية التحتية عن نتائج هائلة. والجدير بالذكر أن إنشاء أنظمة متطورة لإدارة المياه، بما في ذلك الخزانات والقنوات، أحدث ثورة في توزيع المياه للزراعة والحياة اليومية. خفف هذا العمل الفذ من ندرة المياه وساهم في نمو المستوطنات وتوسيع الأراضي الصالحة للزراعة وازدهار المراكز الحضرية.²³

كما أن جهود بيبرس العلمية أشعلت نهضة ثقافية شجعت الحوار الفكري وعززت تبادل الأفكار. مهد دعمه للعلماء والمفكرين الطريق للتميز التعليمي، مما أتاح ظهور عقول مستتيرة من شأنها تشكيل مستقبل مصر.

أدى تراكم النصوص المترجمة وإنشاء مراكز التعلم إلى رعاية جيل من الأفراد المتعلمين الذين، مسلحين بالمعرفة، ساهموا في نمو المجتمع بطرق متعددة الأوجه.

22 بن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، المعهد الألماني. للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009، ص 18.

23 شبارو، عصام محمد، السلاطين في المشرق العربي، معالم دورهم السياسي والحضاري، (المماليك)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1994 م، ص 16.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

امتد تأثير جهود بيبيرس العلمية إلى ما هو أبعد من عصره، وكان يتردد صده عبر أروقة الزمن. أصبح تأثيره في الطب والزراعة والهندسة والتعليم جزءًا لا يتجزأ من الإرث الذي تركه لمصر. مع استمرار التقدم في المعرفة، بنيت الأجيال اللاحقة على أساسه، واستمرت في الصقل والابتكار في هذه المجالات.

يقف عهد بيبيرس شاهداً على القوة التحويلية للجهود العلمية على المجتمع. من خلال مبادراته الاستراتيجية، ارتقى السلطان بحياة المصريين من خلال رعاية مجتمعات أكثر صحة، وتعزيز الازدهار الزراعي، وتعزيز البنية التحتية، ورعاية النمو الفكري. لا يزال إرثه راسخاً في جوهر مصر، حيث يتردد صدى تقانيه الراسخ في المعرفة عبر سجلات الزمن، مما يلهم التقدم والازدهار للأجيال القادمة.²⁴

الإرث العلمي والثقافي:

يبرز عصر بيبيرس كحقبة مضيئة، مزينة بنسيج ثري من الإنجازات العلمية والثقافية التي لا تزال تتردد في أروقة الزمن. السلطان بيبيرس، وهو حاكم ذو رؤية عظيمة وذو عقل رائع، زرع بذور إرث عميق من شأنه أن يشكل التاريخ العلمي والثقافي لمصر لأجيال قادمة.

كان عهد بيبيرس حقبة مزدهرة للتبادل الفكري، حيث أتى تقاني السلطان الراسخ في تقدم المعرفة ثماره في شكل تراث علمي وثقافي نابض بالحياة. عززت رعايته للعلماء، ودعم مساعي الترجمة، وإنشاء مراكز التعلم بيئة ازدهر فيها الابتكار وازدهرت الأفكار. لم يثري هذا الإرث المجتمع المعاصر فحسب، بل أرسى أيضاً الأساس لنهضة ثقافية وعلمية دائمة.

كان الأثر الثقافي لعصر بيبيرس ملموساً. سهلت ترجمة الأعمال الكلاسيكية من مختلف اللغات إلى العربية، تحت إشراف السلطان الساهر، التلقيح المتبادل للأفكار التي تجاوزت الحدود الجغرافية. لقد شبع هذا التبادل الثقافي المجتمع المصري بنكهة عالمية، مما عزز نسيجاً ثرياً من الفكر حيث تتلاقى وجهات النظر المتنوعة وتختلط. نتيجة لذلك، ازدهر الفن والأدب والفلسفة، مما ساهم في ازدهار ثقافي تخلل كل جوانب الحياة المصرية.²⁵

كان التقدم العلمي في عهد بيبيرس ملحوظاً أيضاً. أدى تأييده للتعليم المتقدم ورعاية المساعي الفكرية إلى اكتشافات رائدة وتوسع قوي في المعرفة. شرع العلماء، بدعم من السلطان، في أبحاث رائدة تجاوزت

24 العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1986 م، ص 161.

25 حسين، حمدي عبد المنعم محمد، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، 1996، مصر، ص 167.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

حدود مجالات تخصصهم. يتجلى التأثير العميق لإرث بيبرس العلمي في التطورات المستمرة في الطب والزراعة والهندسة وغيرها، والتي رعاها ودعمها.

إن الشعبية الدائمة والتأثير المستمر لأفكار وأبحاث العلماء من عصر بيبرس دليل على القوة الدائمة لإرثه. أصبحت المعرفة التي نشأت في عهده حجر الزاوية في التراث الفكري المصري، مما أثر على الأجيال اللاحقة من المفكرين والعلماء والفنانين. يمكن تتبع صدى هذه الأفكار عبر الزمن، لأنها شكلت أسس التعليم، وتطور الفكر العلمي، والتعبيرات الفنية التي أثرت النسيج الثقافي في مصر.

في جوهره، يقف عصر بيبرس كمنازة للتوثير، حيث أدى التزام السلطان الشديد بالمساعي العلمية والثقافية إلى خلق إرث يتحدى مرور الزمن. لقد أضاءت رعايته الحكمة للمعرفة طريق التقدم، مما أشعل شرارة تستمر في إشعال نيران الفضول والاستفسار. لم يؤد التراث العلمي والثقافي الذي ورثه بيبرس إلى تشكيل قصة تاريخ مصر فحسب، بل ترك بصمة دائمة على الوعي الجماعي للإنسانية، وألهم الأجيال القادمة للاستكشاف والابتكار والإبداع في السعي وراء المعرفة والتوثير.²⁶

المبحث الثاني: جهود السلطان العلمية في بلاد الشام.

يمتد الإرث المشرق للسلطان الظاهر بيبرس إلى ما وراء حدود مصر، ويلقي نفوذه المضيء عبر الامتداد الأوسع لبلاد الشام. في هذا الموضوع الثاني، ننتقل في استكشاف أسر لـ "جهود السلطان العلمية في بلاد الشام"، وهو فصل يكشف النقاب عن سرد متعدد الأوجه للفضول الفكري ورعاية التعلم والنهوض بالمعرفة.

السلطان بيبرس، النجم اللامع الذي يتردد صدى اسمه عبر الزمن، كان متعطشاً نهماً للحكمة التي تجاوزت الحدود الجغرافية. وشهدت بلاد الشام، وهي أرض ثقافات متنوعة وحضارات متقاطعة، مساعيه الحكمة، حيث دافع بحماس عن قضية العلم والنمو الفكري. يكشف هذا الموضوع عن نسيج مساهمات بيبرس في بلاد الشام، ويسلط الضوء على دوره الأساسي في تشكيل المشهد العلمي للمنطقة.

من الأسواق الصاخبة في دمشق إلى الجيوب العلمية في حلب وما وراءها، تردد صدى تأثير بيبرس من خلال مراكز التعلم النابضة بالحياة. أشعلت رعايته للعلماء والمفكرين نهضة فكرية عززت مناخ التبادل الفكري الذي عكس التنوع الغني في بلاد الشام نفسها. بينما نتعمق في جهود السلطان العلمية في هذه

26 شاكر، محمود، موسوعة التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، الجزء (7)، ط 5، المكتب الإسلامي، بيروت،

2000، 47/7.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

المنطقة، تكشف عن قصة تتشابك مع النسيج المجتمعي، مما يؤثر ليس فقط في السعي وراء المعرفة ولكن أيضًا على جوهر الهوية الثقافية.²⁷

من خلال البحث الدقيق، ومبادرات الترجمة، وإنشاء المؤسسات التعليمية، ترك بيبيرس بصمة لا تمحى على المشهد الفكري للمشرق. دفع دعمه الثابت العلماء إلى آفاق جديدة من الاكتشافات، مما أدى إلى تطورات شملت مجموعة من التخصصات، من الطب وعلم الفلك إلى الفلسفة والأدب. إن بلاد الشام، التي اشتهرت بالفعل بأهميتها التاريخية، أصبحت بوتقة لتقارب الأفكار، مما مهد الطريق لمرحلة تحول عميق.

رحلة مساعي السلطان العلمية في بلاد الشام، حيث تتقاطع مجالات الأوساط الأكاديمية والثقافية والتقدم المجتمعي. من خلال دراسة تأثيره على العلماء، ونشر المعرفة، والإرث الدائم لإسهاماته، تكشف عن فصل من التاريخ يكشف عن الإمكانات اللامحدودة للفضول البشري والقوة التحويلية للقيادة المستتيرة. بينما نتجول في هذا الموضوع، نكشف النقاب عن النسيج الديناميكي لإرث بيبيرس العلمي، ونكشف كيف أن جهوده أضاءت طريق التنوير في بلاد الشام واستمرت في إلهام الأجيال للشروع في مهامهم الخاصة للمعرفة والاكتشاف.

السياق التاريخي والثقافي:

يبرز عصر بيبيرس في بلاد الشام كوقت للتبادل الثقافي الديناميكي، والازدهار الفكري، والتقاطع الحضاري النابض بالحياة. امتد حكم بيبيرس من منتصف القرن الثالث عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر، وتقاطع مع فترة تميزت بتغيرات تاريخية عميقة، وتنوع ثقافي آسر، وتبادل نشط للمعرفة.²⁸

كانت بلاد الشام، التي تضم دول العصر الحديث مثل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وأجزاء من إسرائيل وتركيا، حلقة وصل بين الحضارات في زمن بيبيرس. كانت هذه المنطقة، الواقعة على مفترق طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا، منذ فترة طويلة بوتقة للثقافات والأفكار، تحمل بصمات التأثيرات الفينيقية واليونانية والرومانية والبيزنطية والإسلامية.

ثقافيًا، كانت بلاد الشام عبارة عن فسيفساء من الأعراق واللغات والتقاليد الدينية. كانت أرضًا تتعايش فيها الأديان المختلفة، وازدهرت فيها مراكز التعلم والحج الديني. احتوت مدن مثل دمشق وحلب والقدس

²⁷ قاسم، عبده قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2001. ص

219.

²⁸ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر والشام، دار النفائس، بيروت، 1999 م، ص 119.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

على كنز دفين من المخطوطات والمكتبات والمدارس، وكانت بمثابة منارات للمعرفة جذبت العلماء والفلاسفة والفنانين من جميع أنحاء العالم المعروف.

ازدهر الفكر العلمي والفلسفي في بلاد الشام، حيث ساهم العلماء في مجالات متنوعة بما في ذلك الطب وعلم الفلك والرياضيات والفلسفة والأدب. سهّل موقع المنطقة على مفترق طرق الإمبراطوريات تبادل الأفكار، مما أتاح استيعاب المعرفة من الثقافات المجاورة. أدى هذا الهياج الثقافي إلى ظهور تقليد حيوي من الترجمة، حيث عمل العلماء بجد لتحويل النصوص اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، وبالتالي توسيع نطاق المعرفة المتاحة.

تزامن صعود بيبرس إلى السلطة مع فترة من التطورات التاريخية المهمة. كان للغزو المغولي وسقوط بغداد عام 1258 تداعيات بعيدة المدى، حيث أعاد تشكيل المشهد السياسي للمنطقة. بما أن بلاد الشام شهدت تحولات في القوة والتحالفات، فقد شهدت أيضاً على صعود سلالات جديدة وظهور حركات ثقافية ودينية مؤثرة.²⁹

تقاطع عهد السلطان مع العصر الذهبي الإسلامي في العصور الوسطى، وهي فترة معروفة بإنجازاتها الفكرية الرائعة والتقدم العلمي والإسهامات الثقافية. يتماشى التزام بيبرس بالمعرفة ورعايته للعلماء بسلسلة مع هذا السياق التاريخي الأوسع، مما يضخم الإرث الحالي للتعليم والتبادل الثقافي.

كان عهد بيبرس في بلاد الشام، في جوهره، التقاء قوى تاريخية وتنوع ثقافي وحماسة فكرية. أضاف عهده طبقة أخرى إلى النسيج الثري لتاريخ المنطقة، وساهم في الإرث المستمر لنشر المعرفة، والحوار الثقافي، وتفاعل الأفكار التي تركت بصمة دائمة على تراث بلاد الشام. بينما نتعمق في هذه الحقبة، نكشف عن قصة ازدهار ثقافي وعلمي، حيث تقاطعت رؤية السلطان مع التيارات النابضة بالحياة في عصره، مما خلق إرثاً يستمر في إلهام وتشكيل هوية المنطقة حتى يومنا هذا.

تأسيس المراكز العلمية والثقافية:

شهدت بلاد الشام فجر نهضة فكرية جديدة حيث بثت جهود السلطان الحكيم الحياة في إنشاء المراكز العلمية والثقافية. وبتفاني لا يتزعزع، أرسى بيبرس الأساس لشبكة من المؤسسات البحثية والمؤسسات التعليمية المتطورة التي من شأنها أن تكون بمثابة بوتقة للمعرفة والابتكار.

وقد أدرك السلطان الدور المحوري الذي ستلعبه هذه المراكز في رعاية الفكر، وتعزيز الحوار متعدد التخصصات، وتسهيل تبادل الأفكار عبر الثقافات. في قلب المدن الشهيرة مثل دمشق وحلب والقدس،

29 سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، 1967، ص 269.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

برزت هذه المؤسسات كمعاقل للتنوير وجذبت العلماء والمفكرين والباحثين عن المعرفة من قريب وبعيد.

30

كانت مراكز البحث التي أنشأها بيبرس بمثابة بوتقة للابتكار والتعاون العلمي. هنا، اجتمعت العقول من خلفيات متنوعة للشروع في الاستفسارات العلمية والاستكشافات الفلسفية والتبادل الثقافي. بينما كان العلماء يتصارعون مع الأسئلة المعقدة، وجدوا أنفسهم غالباً محاطين بجو من النقاش النابض بالحياة، مما شجع على التلقيح المتبادل للأفكار التي تتجاوز الحدود الجغرافية.

أصبحت هذه المؤسسات التعليمية المتقدمة حاضنات للجيل القادم من المثقفين. امتدت المناهج الريادية إلى مجموعة واسعة من المواد، بدءاً من الطب وعلم الفلك والرياضيات إلى الفلسفة والفنون والأدب. لم تنتشر المناهج المعرفة الحالية فحسب، بل شجعت أيضاً روح الاستفسار النقدي، وشجعت الطلاب على تحدي الاتفاقيات، واستكشاف مناطق مجهولة، والشروع في رحلات بحثية مبتكرة.

كان دور هذه المراكز محورياً في دعم السلطان الثابت لمشاريع الترجمة. عندما قام العلماء بترجمة وترجمة أعمال من لغات مثل اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية، تردد صدى سمفونية من الأفكار داخل هذه القاعات المقدسة. أصبحت المخطوطات المترجمة مستودعات للحكمة المتراكمة، مما سمح للباحثين المحليين بالوصول إلى نسيج فكري عالمي وبث وجهات نظرهم الفريدة في الخطاب الفكري المستمر.³¹

كان تأثير هذه المراكز بعيد المدى، ليس فقط داخل بلاد الشام، بل امتد نفوذها إلى مناطق أخرى أيضاً. أصبح العلماء الذين صقلوا مهاراتهم داخل هذه المؤسسات سفراء للمعرفة، ونشروا رؤاهم عبر الحدود وإثراء المشهد الفكري العالمي.

في الأساس، كان إنشاء هذه المراكز العلمية والثقافية في عهد بيبرس بشراً بفصل تحولي في تاريخ بلاد الشام. من خلال تعزيز الحوار المفتوح، وتشجيع التعاون متعدد التخصصات، وتسهيل ترجمة ونشر المعرفة، صاغت جهود السلطان إرثاً من التنوير الذي تجاوز الحدود الزمنية. مع تألق منارة الإنارة الفكرية، أصبحت هذه المراكز قنوات حيوية لنقل المعرفة، مما أشعل شعلة لا تزال تلهم وتوجه السعي وراء العلم والثقافة في المنطقة حتى يومنا هذا.

30 طقوش، المرجع السابق، ص 103.

31 مرزوق، البندقداري محمد عبد العزيز "جامع الظاهر بيبرس" مقال بالمجلة التاريخية المصرية - - - - - المجلد

الثالث الجزء الأول. ص - 94



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

دعم الفنون والأدب:

في عهد بيبرس المتألق، شهدت بلاد الشام نهضة مزدهرة في المساعي الفنية والأدبية، حيث بث التزام السلطان الراسخ بالإثراء الفكري الحياة في نسيج ثقافي منسوج بالإبداع والتعبير والخيال. إلى جانب انتصاراته العسكرية وبراعته الإدارية، برز بيبرس كراعٍ للفنون والأدب، عزز بيئة ازدهر فيها التعبير الفني وأصبحت الكلمة المكتوبة وعاءاً لأفكار عميقة.

كان دعم بيبرس للفنون متعدد الأوجه كما كان رؤيويًا. وإدراكًا منه أن الفنانين والكتاب والشعراء هم حاملو شعلة الثقافة، انطلق في رحلة رعاية أشعلت نهضة عبر بلاد الشام. في ظل توجيهاته الكريمة، وجد الشعراء مصدر إلهام لصياغة قصائد تمجد فضائل البطولة والحكمة والحب، وتتفتت الحياة في الحكايات الخالدة التي يتردد صداها عبر الأجيال. بحث الكتاب في السجلات التاريخية والأطروحات الفلسفية والروايات التي أثرت المشهد الفكري، واستولت على جوهر عصرهم ونسجت نسيجًا غنيًا من التجربة الإنسانية.³²

قدم السلطان بيبرس دعمه السخي للرسامين والخطاطين والحرفيين، معترفًا بدورهم المحوري في تصوير جمال العالم والحفاظ على تعقيدات الثقافة. لقد أدرك أن الفنون البصرية كانت بمثابة جسر بين الأجيال، مما أتاح إرثًا من التعبير الجمالي لتجاوز الحدود الزمنية.

أصبحت مدن بلاد الشام عبارة عن لوحات فنية نابضة بالحياة، مزينة بالعجائب المعمارية، والمخطوطات الرائعة، والتصاميم المعقدة التي تعكس اندماج التقاليد الفنية.

كان التأثير الإيجابي لرعاية بيبرس على فنون وآداب الشام لا يقاس. أدى دعمه إلى تنشيط مجتمع مزدهر من الفنانين والكتاب، حيث زودهم بالوسائل لتحسين حرفتهم وتجاوز الحدود الإبداعية. إن بلاد الشام، التي كانت بالفعل بوتقة للتنوع الثقافي، ازدهرت في ملاذ حيث ازدهر التعبير الفني، وصاغت هوية مميزة تردد صداها مع كل من التأثيرات المحلية والتيارات الأوسع للإبداع البشري.

لم تؤد رعاية بيبرس للفنون والآداب إلى إثراء المشهد الثقافي في بلاد الشام في عهده فحسب، بل تركت إرثًا لا يمحي تردد صدًى عبر الزمن. وأصبحت الإنجازات الفنية والإبداعات الأدبية التي ترعاها دعمه انعكاسات دائمة للحيوية الفكرية للعصر، واستحوذت على جوهر مجتمع احتفى بالتعبير الإنساني بأشكاله العديدة

من حيث الجوهر، يقف عهد بيبرس شاهداً على القوة التحويلية للرعاية الفنية والأدبية. وبث دعمه البصري الحياة في النهضة الثقافية في بلاد الشام، ودفع الفنانين والكتاب إلى آفاق جديدة من الإبداع

32 ماجد، عبد المنعم. "دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر" ج - 2 ص - 85 و 86.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ورعاية إرث لا يزال يلهم ويشكل الهوية الفنية والفكرية للمنطقة. بينما يتردد صدى تراث السلطان في أروقة الزمن، يظل التزامه بالفنون والأدب مصدر إلهام أبدي، يذكرنا بالقيمة الدائمة للإبداع البشري والإمكانات اللامحدودة للإثراء الثقافي.³³

ترجمة ونقل المعرفة:

في حويلات التاريخ، يتألق إرث السلطان بيبرس كدليل على تفانيه الشديد في التنوير الفكري ونشر المعرفة. كان في صميم مساعيه الحكمة التزاماً ثابتاً بترجمة ونقل الأعمال العلمية والفلسفية من لغات متنوعة إلى لغة عالمه. كان دور بيبرس في تشجيع هذه الترجمات إيذاناً بعصر جديد من التبادل الثقافي والإثراء الفكري، وترك بصمة دائمة على التراث الفكري للمنطقة.

امتد اهتمام بيبرس بالترجمات إلى ما هو أبعد من مجرد الجسور اللغوية. إنه يمثل التزاماً عميقاً بسد الفجوة بين الثقافات والحضارات. وإدراكاً منه أن المعرفة لا تعرف حدوداً، شرع في مهمة لفتح كنوز الحكمة المخبأة في النصوص الأجنبية، وجعلها في متناول العلماء والمفكرين في بلاد الشام. وفرت رعايته ودعمه الزخم اللازم للعلماء للشروع في المهمة الصعبة المتمثلة في تحويل الأفكار والمفاهيم المعقدة إلى لغة المنطقة. (أحمد العباد، 1969م)

وتجدر الإشارة إلى أعمال العلماء المشهورين مثل أرسطو وأفلاطون وجالينوس وأبقراط، الذين امتدت مساهماتهم في مجالات تتراوح من الفلسفة والطب إلى الرياضيات والعلوم الطبيعية. سهّل تشجيع بيبرس لهذه الترجمات نقل الرؤى النقدية والنظريات الرائدة، مما أغنى المشهد الفكري للمشرق. أشعلت أعمال أرسطو المترجمة، على سبيل المثال، نهضة في الفكر الفلسفي، وأثارت نقاشات عميقة واستفسارات بين العلماء. كانت أطروحاته حول المنطق والأخلاق والميتافيزيقا بمثابة محفزات للاستكشاف الفكري، وشكلت أسس الخطاب الفلسفي للأجيال القادمة.

في عالم الطب، أثبتت ترجمة أعمال جالينوس أنها تحولت. تطور فهم علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء والعلاجات الطبية حيث وجدت هذه النصوص القيمة طريقها إلى أيدي الأطباء المتحمسين. ساهم دعم بيبرس لهذه الترجمات بشكل مباشر في تقدم الممارسة الطبية، مما أفاد في نهاية المطاف صحة ورفاهية سكان بلاد الشام.

امتد دور بيبرس في تسهيل نقل المعرفة إلى الأطروحات الرياضية والفلكية أيضاً. تم ترجمة الأعمال الرائدة لعلماء الرياضيات مثل إقليدس وعلماء الفلك مثل بطليموس إلى اللغة العربية، مما عزز بيئة شارك فيها العلماء في أبحاث رائدة وساهموا في تقدم هذه التخصصات.

33 طقوش، سهيل، تاريخ الممالك. (دار النفائس ببيروت ١٩٩٧ م). ص ١٥٩



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

تردد صدى تأثير ترجمات بيبرس في ما بعد عصره، وترك بصمة لا تمحى على المسار الفكري للمشرق. أصبحت الأعمال المترجمة حجر الزاوية في التعلم، وتشكيل المناهج، والبحث الملهم، وتوجيه الخطاب الفكري لأجيال. لا يزال تراث هذه الترجمات محسوسًا في العصر الحديث، حيث تظل جزءًا لا يتجزأ من النسيج الأكاديمي والثقافي للمنطقة.³⁴

فإن حرص بيبرس على ترجمة ونقل المعرفة يؤكد ريادته الحكيمة والتزامه الدائم بالنهوض بالتراث الفكري للشام. سهلت رعايته للترجمات، وخاصة الأعمال المهمة لعلماء بارزين، تبادلًا ديناميكيًا للأفكار وأرست الأساس للتطور الفكري المستمر في المنطقة. مع استمرار النصوص المترجمة في إلقاء الضوء على طريق الفهم، فإن دور بيبرس كمحفز لنقل المعرفة يقف كمنازة مشرقة تلهم السعي وراء المعرفة وتعزز إرث التنوير الذي يستمر حتى يومنا هذا.

التعاون الدولي والحوار الثقافي:

يظهر السلطان بيبرس كرائد للتعاون الدولي والحوار الثقافي، متجاوزًا الحدود الجغرافية لإقامة روابط وتعزيز تبادل نابض للأفكار. لم تقتصر جهوده الحكيمة خلال هذه الحقبة الرائعة على مملكته وحدها؛ لقد اشتملت على لوحة أعرض، تشمل شبكة من الروابط التي امتدت إلى بلدان وثقافات متنوعة. كان التزام بيبرس بالتعاون الدولي واضحًا في سعيه لإقامة تحالفات بين الثقافات، حيث سعى بنشاط إلى إقامة وتعزيز العلاقات الدبلوماسية مع البلدان المجاورة والبعيدة. لم تكن هذه المساعي الدبلوماسية مجرد استراتيجيات سياسية. كانوا مدفوعين بإدراك عميق لأهمية التبادل الثقافي والعلمي كجسور للتفاهم والتعاون المتبادل.

من الأحداث المحورية التي أكدت التزام بيبرس بالتعاون الدولي إنشاء السفارات والبعثات الدبلوماسية. كانت هذه البعثات بمثابة قنوات للتبادل الثقافي والفكري، وتمكين العلماء والفنانين والمفكرين من عبور الحدود ومشاركة أفكارهم مع الأراضي الأجنبية. من خلال هذه القنوات، أصبحت بلاد الشام مركزًا لتقارب التقاليد المتنوعة، مما عزز مناخ الحوار المفتوح وتلاقح الأفكار.

وجد تقاني بيبرس في التعاون الدولي تعبيراً في دعمه لمبادرات الترجمة. لم تؤد ترجمة الأعمال العلمية والفلسفية والأدبية إلى اللغة العربية إلى إثراء المشهد الفكري للمشرق فحسب، بل سهلت أيضًا التواصل مع الثقافات الأخرى. كانت هذه النصوص المترجمة بمثابة محفزات للمحادثات بين الثقافات، وتجاوز الحواجز اللغوية ورعاية الفهم المشترك للمعرفة البشرية والإبداع.

34 العباد، أحمد، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص222.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ربما كان بيت الحكمة في القاهرة من أكثر المبادرات شهرة التي جسدت التزام بيبرس بالحوار الثقافي. هذه المؤسسة، التي تشبه منارة التبادل الفكري، جذبت العلماء والعلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم. داخل جدرانها، تناسقت سيمفونية من الأفكار، وأثارت نقاشات فكرية وأبحاثًا تعاونية دفعت حدود المعرفة والفهم.³⁵

امتد تعاون بيبرس الدولي إلى عالم السفر والاستكشاف أيضًا. مهد تشجيعه للسفر والبعثات الطريق للعلماء للسفر إلى الأراضي البعيدة، واستيعاب المعرفة، وإعادة الرؤى التي أثرت المشهد الفكري في بلاد الشام. سهلت رحلات الاكتشاف هذه تبادل المعلومات، وتعزيز الفهم الجماعي للمنطقة للعالم. اتسم عصر بيبرس في جوهره بروح التعاون والحوار التي تجاوزت الحدود وأشعلت سيمفونية من التبادل الثقافي والعلمي. كانت رؤيته متجذرة في الاعتقاد بأنه من خلال تبادل المعرفة والاحتفال

بالثقافات المتنوعة، يمكن للإنسانية أن تصوغ روابط من شأنها تجاوز الاختلافات والمساهمة في تقدم الحضارة ككل.

بينما نتأمل في عصر بيبرس، نعترف بإرثه الدائم كرائد في التعاون الدولي والحوار الثقافي. لقد أرست جهوده الحكيمة لجسر الثقافات وتسهيل التواصل وتعزيز التفاهم بين الثقافات الأساس لإرث لا يزال يلهمنا ويوجهنا في سعيها لتحقيق التقدم التعاوني وإثراء تراثنا الإنساني المشترك.³⁶

التأثير على التطور العلمي والثقافي:

يقف عهد بيبرس كفصل تحولي يستمر صدى عبر الزمن. لقد ألقى تقاني السلطان الراسخ في المعرفة والثقافة الضوء على بلاد الشام، مما أدى إلى تأثير عميق في تطوير المجالات المتنوعة، من الطب والفلسفة إلى العلوم الاجتماعية المزدهرة. بينما نتعمق في هذه الحقبة، نكشف النقاب عن فسيفاء من الابتكارات الفكرية التي ظهرت تحت رعاية بيبرس، وتركت بصمة لا تمحى على المسار العلمي والثقافي للمنطقة.

تجلى تأثير بيبرس في التطور العلمي في التزامه الراسخ بمجال الطب. تحت رعايته، ازدهرت المعرفة الطبية، سهلت ذلك ترجمة النصوص الكلاسيكية وتبادل الأفكار. وتوج هذا بعمل الطبيب الرائد ابن النفيس، الذي كشف تعقيدات الدورة الدموية، وهو اكتشاف رائد وضع الأساس لفهم القلب والأوعية

35 سالم، السيد عبد العزيز: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص: 269.

36 الياضي، أبو محمد بن عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان، "مرآة الجنان"، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي،

1413 هـ، ج 4 ص 187.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

الدموية الحديث. لم يؤدّ تأييد بيبيرس للبحوث الطبية إلى رفع مستوى ممارسة الطب فحسب، بل ألهم أيضاً سلالة من الأطباء الذين تستمر رؤاهم وابتكاراتهم في تشكيل الرعاية الصحية في بلاد الشام وخارجها

في عالم الفلسفة، شهد عصر بيبيرس نهضة فكرية تميزت بالاستكشاف الفكري وتبادل الأفكار الفلسفية. أدت ترجمة الأعمال الفلسفية اليونانية إلى اللغة العربية إلى إحياء الخطاب الفلسفي، وجذب العلماء من مختلف الثقافات للمشاركة في مناقشات واستفسارات عميقة. ومن الجدير بالذكر أن أعمال أرسطو وأفلاطون وجدت حياة جديدة تحت رعاية بيبيرس، مما أثر على تطور الفكر الفلسفي وقدم الأساس الذي ستبني عليه الأجيال اللاحقة من المفكرين.³⁷

كما ازدهرت العلوم الاجتماعية تحت قيادة بيبيرس المستنيرة. عزز دعمه للمؤسسات التعليمية ومراكز التعلم بيئة يتعمق فيها العلماء في تعقيدات المجتمع والحوكمة والسلوك البشري. شهد العصر تجميع السجلات التاريخية، واستكشاف المبادئ الأخلاقية، وزراعة فهم أعمق للتفاعلات البشرية. أرست هذه المساعي الفكرية الأساس لتطوير العلوم الاجتماعية التي تستمر في إثراء فهمنا للمجتمعات البشرية حتى يومنا هذا.³⁸

لا يمكن التغاضي عن الأعاجيب المعمارية والفنية التي ظهرت في عهد بيبيرس والتي تشهد على تأثيره في التطور الثقافي. أظهرت الهياكل الرائعة والمخطوطات المعقدة والتعبيرات الفنية اندماج التأثيرات المتنوعة، التي تجسد حيوية الهوية الثقافية للمشرق. سهلت رعاية السلطان للفنانين والمهندسين المعماريين نهضة الإبداع، وتشكيل الجماليات والمشهد الثقافي في المنطقة.

من حيث الجوهر، ترك عصر بيبيرس بصمة لا تمحى على التطور العلمي والثقافي لبلاد الشام. مهدت قيادته الحكيمة، ودعمه الثابت للعلماء، والتزامه بتقديم المعرفة الطريق لاكتشافات رائدة، واستفسارات فلسفية، وتعبيرات فنية تواصل إثراء فهمنا للتجربة الإنسانية. إن إرث عصر بيبيرس يشهد على القوة الدائمة للقيادة المستنيرة والأثر العميق الذي يمكن أن تحدثه في تقدم الحضارة وإثراء التراث الثقافي

الإرث الثقافي والتأثير الحالي:

37 الحايك، منذر، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية. المجلد الأول. الطبعة الأولى. 2006. ص 412.

38 عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، بيروت، دار النهضة العربية، د.ط، د.ت، ص 213.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

إن إرث السلطان بيبرس في بلاد الشام يتجاوز الزمن، ويلقي بصمة مضيئة على النسيج الثقافي والعلمي للمنطقة. بينما نتعمق في أعماق التاريخ، نكشف عن إرث لم يصمد أمام مرور القرون فحسب، بل استمر في تشكيل القيم والمبادئ والمسااعي الفكرية للمجتمعات الحديثة. ينبثق عصر بيبرس كمنبع للإلهام، مصدر تستمد منه الثقافات المعاصرة التوجيه والبصيرة، وتنسج صلة عميقة بين الماضي والحاضر.³⁹

يتشابه إرث بيبرس الثقافي مع الالتزام بالفضول الفكري، والتبجيل العميق للمعرفة، والاحتفاء بالتقاليد المتنوعة. عززت رعايته للعلماء ومبادرات الترجمة بيئة ازدهر فيها الحوار بين الثقافات، مما أدى إلى نهضة فكرية يتردد صداها حتى اليوم. استمدت المجتمعات الحديثة في بلاد الشام وخارجها من هذا الإرث، إدراكًا منها للقوة التحويلية للتبادل الثقافي في رعاية التفاهم والتسامح والاحترام المتبادل.

التراث العلمي الذي خلفه بيبرس عميق بنفس القدر، حيث أشعل شرارة استمرت في إلقاء الضوء على طريق الاكتشاف. تظل الأعمال المترجمة والتقدم الفكري في عصره ركائز أساسية تُبنى عليها المسااعي العلمية الحديثة. استمرت المفاهيم المزورة خلال عصره في التأثير على تخصصات مثل الطب والفلسفة والعلوم الاجتماعية، مما يوفر إطارًا للبحث والابتكار المعاصرين.

تمتد القيم والمبادئ المستمدة من خبرات بيبرس العلمية إلى ما هو أبعد من المجال الأكاديمي. أكد التزامه الراسخ بالتعليم والتنوير على أهمية الاستثمار في الإمكانيات البشرية، وتعزيز روح التعلم مدى الحياة التي تستمر في المجتمعات الحديثة. أصبح التركيز على التفكير النقدي والخطاب الفكري والسعي وراء المعرفة حجر الزاوية في أنظمة التعليم، وتشكيل الأفراد المجهزين للتغلب على تعقيدات عالم سريع التطور.⁴⁰

علاوة على ذلك، يجسد إرث بيبرس أهمية القيادة التي تقدر التنوع الثقافي وتعزز الحوار. إن مناصرة السلطان للتبادل الثقافي واعترافه بالإمكانيات التحويلية للتفاعلات بين الثقافات قد أثرت في المناهج المعاصرة للدبلوماسية والعلاقات الدولية. تستمد المجتمعات الحديثة الإلهام من نموذجها في القيادة الذي يربط بين الانقسامات ويعزز التعاون ويغذي جواً من التفاهم والتعاون المتبادلين.

39 قادر، إسحق " التاريخ الشركسي. ترجمة: محمد أزوقة. الطبعة الأولى. الأردن: دار ورد للنشر والتوزيع، 2009. ص 188.

40 العبادي، أحمد مختار " قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام.. الناشر: دار النهضة العربية. ص: 212.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

يقف الإرث الثقافي والعلمي للسلطان بيبرس كمنازة إلهام للمجتمعات الحديثة في بلاد الشام وخارجها. عصره بمثابة شهادة على القوة الدائمة للفضول الفكري والتبادل الثقافي والقيادة المستنيرة. من قاعات الأوساط الأكاديمية إلى أروقة الدبلوماسية، يتردد صدى إرث بيبرس كضوء موجه، ينير طريقاً نحو مزيد من التفاهم والوحدة والتقدم.

مع استمرار المجتمعات في الاستفادة من حكمته، فإنها تتبنى القيم والمبادئ الخالدة التي شكلت ماضيها وستواصل تشكيل مستقبلها.⁴¹

المبحث الثالث: جهود السلطان العلمية في الحجاز.

بينما نسير أعمق في نسيج عهد السلطان بيبرس الرائع، يتكشف فصل جديد، يدعونا لاستكشاف مساعي السلطان العلمية العميقة التي تجاوزت بلاد الشام. في هذا الموضوع الثالث، نتعمق في "جهود السلطان العلمية في الحجاز"، وهي قصة تكشف عن إسهامات السلطان في المعرفة والثقافة والتبادل الفكري في الأراضي المقدسة في شبه الجزيرة العربية

ظهرت الحجاز، وهي منطقة غارقة في الأهمية التاريخية والروحية، كلوحة رسم عليها بيبرس إرثاً من التنوير. وسط مدينتي مكة والمدينة المقدستين، ازدهر التزام السلطان الراسخ بتقديم العلم والثقافة، مما ترك بصمة لا تمحى على التراث الفكري للمنطقة.

نتنقل عبر الأسواق المزدهمة وطرق الحج المزدهمة ومراكز التعلم التي شكلت خلفية مساعي بيبرس العلمية في الحجاز. من تبادل الأفكار بين العلماء إلى ترجمة النصوص القديمة، ومن رعاية الفنانين إلى نشر المعرفة، كان لوجود السلطان صدى عميق في قلب هذه الأرض المقدسة، حيث غذى نسيجاً غنياً من النمو الفكري والتبادل الثقافي.⁴²

نكشف عن جهود بيبرس العلمية في الحجاز. من خلال قيادته الحكيمة، شهدت المنطقة إحياءاً للتعلم، وتبادلاً للأفكار، وضخاً للتراث الثقافي الذي تجاوز الزمن. بينما نقشر طبقات التاريخ إلى الورا، نجد أنفسنا منغمسين في قصة تعكس التزام السلطان بالتقدم الفكري وتأثيره الدائم على الإرث العلمي والثقافي للحجاز.

السياق التاريخي والثقافي:

41 بروني، احمد "تاريخ الدولة العثمانية"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 114.

42 النفيسي، حسن، "تاريخ الدولة العثمانية وسلوكياتها السياسية" دار الفكر العربي، بيروت، 1985، ص 74.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

يبرز عصر بيبرس في الحجاز كفصل محوري، حيث شهدت أرض الجزيرة العربية المقدسة التقاء تيارات تاريخية وثقافية ودينية. تقع الحجاز وسط مناظرها الطبيعية الفاحلة، وهي منطقة ذات أهمية عميقة يتردد صداها مع أصداء الإيمان والمعرفة والتبادل الثقافي.

احتل الحجاز مكانة مرموقة كمركز روحي للإسلام، حيث كان يضم مدينتي مكة والمدينة المقدستين. كانت هذه المدن، التي تم تكريسها كمكان ولادة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والمتواه الأخير، وجهات الحج التي اجتذبت المؤمنين المخلصين من جميع أنحاء العالم الإسلامي. رفعت قداسة الحجاز من أهميته الثقافية، وجعلته مركزاً للتأمل الروحي، والتقاني الديني، وتبادل الأفكار اللاهوتية.⁴³ إلى جانب مكانتها الدينية، كانت الحجاز مفترق طرق للتقارب الثقافي، حيث التقى الرحالة والتجار والعلماء من مختلف أنحاء العالم. عزز التقاء الثقافات هذا تبادلاً حيوياً للمعرفة والفن والخطاب الفكري. أصبحت الأسواق والمكتبات ومراكز التعلم المزدهمة في المدن محاوراً نابضة بالحياة، مما غذى جواً من السعي الأكاديمي والإثراء الثقافي.

انكشف عهد بيبرس في الحجاز على خلفية التراث الغني والديناميكية الثقافية. كان التزام السلطان بالمعرفة والتقدم الفكري يتناغم مع الإرث التاريخي للمنطقة. شهد الحجاز، تحت رعايته، نهضة علمية، حيث توافد العلماء والشعراء والمفكرون على المنطقة للانخراط في الاستكشاف الفكري.

امتدت أهمية الحجاز إلى عالم العلم، حيث كانت المنطقة بمثابة بوتقة لتبادل المعرفة العلمية. اجتاز العلماء الصحاري للمشاركة في مناقشات حول مختلف التخصصات، من علم الفلك والرياضيات إلى الطب والفلسفة. أصبحت مدينتا مكة والمدينة مستودعات ليس فقط للحكمة الروحية ولكن أيضاً للبحث العلمي، مما عزز بيئة ينقب فيها العلماء في أسرار الكون وتعقيدات الحالة البشرية.⁴⁴

علاوة على ذلك، برزت الحجاز كمركز ثقافي، حيث ازدهر التعبير الفني والمساعي الأدبية. دفعت رعاية بيبرس للفنون ودعمه للمبادرات الثقافية المنطقة بالطاقة الإبداعية. وجد الفنانون والخطاطين والشعراء الإلهام في المشهد المقدس، حيث قاموا بصياغة أعمال عكست براعتهم الفنية وتقديسهم للأهمية الروحية للحجاز.

في جوهره، كان عصر بيبرس في الحجاز يتضمن تفاعلاً عميقاً بين التاريخ والثقافة والإيمان. يتمشى المزيج الفريد للمنطقة من التقاني الروحي والفضول الفكري والتبادل الثقافي بسلاسة مع رؤية السلطان

43 أبو همام، عبد الرحمن، "الدولة العثمانية في عهد السلطان الظاهر بيبرس" دار الكتاب العربي، بيروت، 1993، ص 41.

44 حمدوني، اسماعيل، "تاريخ الدولة العثمانية"، الدار العربية للكتاب، بيروت، 2002، ص 133.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

لمجتمع تثريه المعرفة ويضيء بالإبداع. إن أهمية الحجاز كحصن للإسلام والعلم والثقافة جعلتها لوحة مثالية رسم عليها بيبرس إرثاً لا يزال يلهم ويشكل نسيج تراث المنطقة.

دعم العلوم الدينية والفقه:

لم يتسم عهد السلطان بيبرس بملاحقته الحكيمة في مجالات العلم والثقافة فحسب، بل تميز أيضاً بالتزامه الراسخ بالنهوض بالعلوم الدينية والفقه. تجلّى تبجيله العميق للمعرفة الإسلامية ورغبته في التمسك بمبادئ الإيمان في دعمه الثابت للعلماء والفقهاء والمؤسسات التي تنشر الحكمة الدينية.⁴⁵

أدرك بيبرس الدور المحوري الذي لعبه العلماء والفقهاء في الحفاظ على التعاليم الإسلامية ونشرها. تحقيقاً لهذه الغاية، فقد عزز بنشاط بيئة مواتية للسعي وراء المعرفة الدينية. امتدت رعاية السلطان إلى كل من العلماء المعروفين والأصوات الناشئة، مما يضمن عدم إعاقة جهودهم بسبب القيود المالية. تم توجيه الهبات المالية والمنح وغيرها من أشكال الدعم إلى هؤلاء الشخصيات البارزة، مما يمكنهم من التركيز على مساعيهم العلمية والمساهمة في تعميق فهم العلوم الدينية. ظهرت مؤسسات التعليم والمراكز الدينية كمراكز للتبادل الفكري والإرشاد الروحي برعاية بيبرس. لم تكن المدارس والمدارس مجرد هياكل. كانت ملاذاً للمعرفة حيث اجتمع العلماء والطلاب لاستكشاف الفقه الإسلامي وعلم الكلام والتخصصات الدينية الأخرى. وبث دعم السلطان لهذه المؤسسات الحياة في نهضة تعليمية، حيث ازدهرت المناقشات حول مسائل العقيدة والقانون، ورعاية جيل من العلماء الذين سيواصلون شعلة المعرفة الدينية.⁴⁶

تلقى الفقهاء، كمتترجمين للشريعة الإسلامية، اهتماماً خاصاً من بيبرس. وإدراكاً منه لأهمية الرؤى الفقهية في توجيه الإطار المجتمعي والقانوني، انخرط السلطان بفاعلية مع الفقهاء واستشارهم في مسائل الحكم والعدالة. تم تقدير خبراتهم باعتبارها حجر الزاوية لمجتمع منصف وعادل، تتماشى مع رؤية السلطان في مواءمة التعاليم الإسلامية مع التطبيق العملي.

لم يقتصر دعم العلوم الدينية والفقه على حصر نفسه في حدود الدوائر العلمية. كان لها صدى عميق في المجتمع الأوسع. وصل نشر المعرفة الإسلامية من خلال الخطب والمحاضرات والكتابات إلى كل طبقات المجتمع، مما عزز ثقافة النمو الروحي والوعي الأخلاقي. كانت المراكز الدينية بمثابة منارات الإرشاد، وتوفير الغذاء الروحي للمؤمنين وتعزيز جو من النزاهة الأخلاقية والقيم الأخلاقية

45 المحلاوي، ابراهيم، "تاريخ الدولة العثمانية" دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 173.

46 بروني، احمد، "تاريخ الدولة العثمانية" دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 112.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

نلمح قائداً أدرك العلاقة التكافلية بين المعرفة والروحانية ورفاهية عالمه، تاركاً بصمة لا تمحى على نسيج التراث الديني والفكري.⁴⁷

الحفاظ على المقدسات والأماكن التاريخية:

في قلب عهد السلطان بيبرس اللامع، ظهر التزام عميق بالحفاظ على المقدسات الإسلامية والمواقع التاريخية في الحجاز كدليل على تقديسه للتراث الثقافي والهوية الدينية. وتقف مساعي السلطان في هذا المجال دليلاً على اعترافه بالقيمة الجوهرية لهذه المواقع، ليس فقط كصروح مادية، بل كوصي على ذاكرة جماعية شكلت جوهر النسيج الثقافي والديني للمنطقة.

كانت جهود بيبرس عميقة الجذور في فهمه لأهمية هذه الأماكن المقدسة والمعالم. الحجاز، وهي أرض مكرسة في سجلات التاريخ الإسلامي، هي مواقع مقدسة مثل مكة والمدينة، وتجسد الجوهر الروحي للدين. وإدراكاً للتأثير العميق لهذه الأماكن على حياة المؤمنين، كرس السلطان نفسه للحفاظ عليها، والتأكد من أنها تمثل روابط ملموسة للتراث المشترك والإرث الروحي.

يحمل الحفاظ على المقدسات الإسلامية والأماكن التاريخية أهمية ثقافية ودينية متأصلة. وشهدت الهندسة المعمارية والنقوش والتحف على مرور الوقت، حيث قدمت لمحة عن حياة وتقاليد وممارسات أولئك الذين جاءوا من قبل. من خلال الحفاظ على هذه الآثار، حافظ بيبرس على استمرارية هوية المنطقة، وتمكين الأجيال القادمة من التواصل مع جذورها واستلهاهم من الماضي.

48

علاوة على ذلك، امتدت جهود بيبرس للحفاظ إلى ما هو أبعد من الجوانب المادية لهذه المواقع. كان لها صدى عميق في الرحلات الروحية للحجاج والمصلين. عزز تفاني السلطان في الحفاظ على قدسية وجمال مكة والمدينة تجربة الحج، وخلق جواً من الخشوع والتأمل الروحي. وأكدت هذه الجهود على دور السلطان ليس فقط كقائد للحكم ولكن كوصي على الأماكن المقدسة للمؤمنين.

في سياق أوسع، تجسد أفعال بيبرس الانسجام بين التراث الثقافي والإخلاص الديني. كان التزامه بالحفاظ على هذه المواقع دليلاً على فهمه أن الاثنين متشابكان، وأنه من خلال الحفاظ على التراث الثقافي، كان يساهم في الحفاظ على الإرث الروحي الذي استمر لقرون.

47 أمين، أحمد، "الإمبراطورية العثمانية، تاريخ الأسرة الحاكمة" ترجمة عبد الرحمن الرفاعي، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص 321.

48 نجم الدين، مصطفى، "تاريخ الدولة العثمانية" دار الكتب المصرية، القاهرة، 2003، ص 233.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

يتردد أصداء مبادرات ببيرس في الحفاظ على التراث عبر الزمن، ما يترك بصمة لا تمحى على الهوية الثقافية والدينية للحجاز. يتحدث إرث السلطان عن دوره كخادم للتاريخ والثقافة والإيمان، ويذكرنا بالأهمية العميقة للحفاظ على الروابط الملموسة مع ماضينا. في عالم دائم التغير، حيث يكون التراث عرضة لمرور الزمن، تذكرنا أفعال ببيرس أن الحفاظ على المقدسات والمواقع التاريخية ليس فقط شهادة على تاريخنا ولكنه هدية للأجيال القادمة، مما يضمن أن خيوط تظل الثقافة والإيمان متواصلتين وحيويتين.

ترسيخ التعليم والبحث العلمي:

شهد عهد السلطان ببيرس في الحجاز حقبة تحويلية في مجال التعليم والبحث العلمي، حيث قام بمبادرات جريئة لإنشاء مدارس وجامعات من شأنها أن تكون بمثابة حصون للتعلم والابتكار. استرشادا بفهم عميق للدور المحوري للتعليم في تقدم المجتمع، سعى ببيرس إلى ترسيخ المعرفة والارتقاء بالبحث العلمي إلى آفاق جديدة.⁴⁹

تمثلت رؤية ببيرس في إنشاء مؤسسات تعليمية ترعى جيلاً جديداً من المفكرين والعلماء والباحثين. ظهرت المدارس والجامعات كمراكز للنمو الفكري، حيث تمت تنمية مجموعة متنوعة من الموضوعات، من اللاهوت والفلسفة إلى الرياضيات والطب. لم تكن هذه المؤسسات مجرد مستودعات للمعرفة. كانت محاور نابضة بالحياة حيث ازدهرت الأفكار، وتلا ذلك النقاشات، وتحققت الاختراقات.

في قلب المبادرات التعليمية لببيرس، كان هناك التزام ببرامج متقدمة دفعت بحدود التعلم التقليدي. تم تصميم المناهج بدقة لتشمل مجموعة واسعة من التخصصات، مما يعكس إيمان السلطان في التعليم الشامل الذي ينسق مختلف فروع المعرفة. كان الاستقصاء العلمي في المقدمة، مع متابعة الرياضيات وعلم الفلك والطب وغيرها من المجالات بقوة.

المبادرات العلمية التي تم تنظيمها تحت رعاية ببيرس كانت بمثابة مثال إضافي على تفانيه في تطوير المعرفة. ساهم إنشاء المراصد، حيث رسم علماء الفلك رسم السماء وقاموا بملاحظات نقدية، في توسيع فهم الإنسان للكون. مهد تكامل البحوث الطبية في المؤسسات التعليمية الطريق لاكتشافات رائدة، وتعزيز قدرات الرعاية الصحية في المنطقة.⁵⁰

49 الجابري، عبد الرحمن، "تاريخ الدولة العثمانية" دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ص 167.

50 الشربيني، عبد الرحمن "تاريخ الدولة العثمانية"، دار الهلال، بيروت، 1991، ص 62.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ربما كان أحد التطورات الجديرة بالملاحظة هو دعم بيبيرس لترجمة الأعمال العلمية والفلسفية الرئيسية إلى اللغة العربية. لم تعمل هذه المبادرة على توسيع نطاق الوصول إلى النصوص الأساسية فحسب، بل أدت أيضًا إلى تغذية موجة من الخطاب العلمي والابتكار. أصبحت الأعمال المترجمة لبنات بناء لمزيد من الاستكشاف، مما حفز المناقشات الفكرية ودفع حدود المعرفة للخارج.

ترك توطيد بيبيرس للتعليم والبحث العلمي بصمة لا تمحى على الحجاز، وساهم في نهضة ثقافية احتقلت بالصرامة الفكرية والتعبير الإبداعي. أرست البرامج التعليمية المتقدمة والمبادرات العلمية التي دافع عنها الأساس لمجتمع يقدر التفكير النقدي، واحتضن الابتكار، وعزز التقدير العميق للسعي وراء الحقيقة

يستمر إرث مساعي بيبيرس عبر الزمن، حيث تستمر المؤسسات التعليمية التي أنشأها في إلهام وتشكيل المشهد الفكري للمنطقة. تعتبر رؤيته للتعليم الموحد والبحث العلمي بمثابة شهادة على القوة التحويلية للمعرفة، مما يؤكد الدور الحيوي الذي يلعبه التعليم في تمكين الأفراد وإثراء المجتمعات وتعزيز الحضارة الإنسانية. بينما نفكر في مساهماته الحكيمة، نعترف بيبيرس كرائد استغل إمكانات التعليم والبحث العلمي لتشكيل إرث من التنوير والتقدم.⁵¹

تشجيع الحوار والنقاش الفكري:

أظهر السلطان بيبيرس، القائد صاحب الرؤية في عصره، التزامًا عميقًا بتهيئة بيئة من الاستكشاف الفكري، حيث ازدهر الحوار والنقاش والخطاب. يظل دوره في تشجيع الحوارات الفكرية القوية، التي تمتد عبر المجالات الدينية والفلسفية والعلمية، حجر الزاوية في إرثه الدائم، وإثراء نسيج المعرفة وغرس ثقافة البحث المفتوح.

أدرك بيبيرس القوة التحويلية للحوار كمحفز لتطوير الأفكار وتوسيع المعرفة. روح بنشاط للتجمعات والندوات حيث اجتمع العلماء والمفكرون وعلماء الدين من خلفيات متنوعة للمشاركة في مناقشات موضوعية. تجاوزت هذه الحوارات الحدود الأيديولوجية، وخلقت منصة حيث يمكن استكشاف وجهات النظر المختلفة، وتحديها، وصقلها تجاوزت المناقشات الدينية والفلسفية تحت رعاية بيبيرس عالم التعلقات اللاهوتية،

وأصبحت قنوات لفهم أعمق وتسامح. عزز دعم السلطان لحوارات الأديان الانسجام والاحترام المتبادل بين مختلف الطوائف الدينية، مما عزز بيئة تتعايش فيها النظم العقائدية المتنوعة بانسجام. ساعدت روح الحوار هذه على سد الفجوات بين مختلف التقاليد الدينية، وتعزيز الوحدة والتعايش السلمي.⁵²

51 السيد، رضوان "تاريخ مصر في العصر الإسلامي"، دار الفكر العربي، بيروت، 1993، ص 281-284.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

ازدهرت المناقشات الفلسفية في ظل نهج بيبرس المستتير، حيث انخرط العلماء في نقاشات تحت على التفكير حول الميتافيزيقيا والأخلاق ونظرية المعرفة. كان تشجيع السلطان للخطاب الفلسفي بمثابة منتدى للتحليل النقدي، مما أدى إلى صقل الأفكار الموجودة وتوليد رؤى جديدة. عززت هذه التبادلات النمو الفكري، وغذت ثقافة التأمل والاستكشاف الفلسفي.

كان الأثر الإيجابي لدور بيبرس في تشجيع الحوار متعدد الأوجه. لم تؤد المناقشات الفكرية إلى توليف وجهات نظر متنوعة فحسب، بل أدت أيضًا إلى ابتكار وصياغة نظريات جديدة. أدى التلقيح المتبادل للأفكار في هذه المنتديات إلى ظهور مفاهيم رائدة، وتشكيل مسار الفكر الفكري في مجالات تتراوح من اللاهوت إلى العلوم الطبيعية.

علاوة على ذلك، أدى دعم السلطان للحوار إلى رفع مستوى الفهم الجماعي للقضايا المجتمعية والمعضلات الأخلاقية. انخرط قادة الفكر في نقاشات حافزة على الفكر حول مسائل الحكم والعدالة والمسؤولية الاجتماعية، مما أثرى البوصلة الأخلاقية للمجتمع. ساهم هذا النهج الشامل للمشاركة الفكرية في التنمية الشاملة للأفراد والمجتمع الأوسع.⁵³

في الأساس، ألقى دور بيبرس في تشجيع الحوار والنقاش الفكري الضوء على قيادته. يؤكد التزامه بتعزيز بيئة من الفضول الفكري والتفاهم بين الأديان والاستكشاف الفلسفي إيمانه بقدرة المعرفة على الاتحاد والارتقاء. عندما نتأمل في إرثه، نتذكر الأهمية الدائمة للخطاب المفتوح في تشكيل مجتمع يتسم بالتسامح والتنوير والبحث المشترك عن الحقيقة.

التأثير على الثقافة والفنون:

شهد عهد السلطان بيبرس في الحجاز فترة ازدهار للنهضة الفنية والثقافية، حيث بعثت رعايته المستتيرة ودعومه حياة جديدة في المساعي الإبداعية في المنطقة. أثرت جهود السلطان المتعددة الأوجه في تطور الفنون والثقافة، مما أدى إلى ظهور نسيج من الأعمال الفنية والأدبية التي تركت بصمة لا تمحى على هوية الحجاز.⁵⁴

تحت إشراف بيبرس، وجدت الفنون ملاذًا لتزدهر. أدى دعم السلطان للفنانين والشعراء والكتاب إلى رعاية مجتمع إبداعي نابض بالحياة، مما عزز بيئة ازدهر فيها الابتكار والتعبير الفني. زينت روعة

52 الفاسي، محمد "تاريخ الإسلام في شمال إفريقيا"، دار الفكر العربي، بيروت، 1998، ص 252.

53 الحمزاوي، أحمد التوفيق، "تاريخ الدولة المملوكية في المغرب" دار الفكر العربي، بيروت، 2001، ص 143.

54 الشيال، جمال الدين "تاريخ مصر في العصر المملوكي الأول"، دار المعارف، بيروت، 2001، ص 344.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

العمارة الإسلامية المدن، وتمزج بين التعقيد الفني والرموز الدينية، مما يمثل التقارب المتناغم بين الجماليات والإيمان.

شهد الأدب نهضة في عهد بيبيرس المستنير. قام الشعراء والكتاب، المستوحون من الحيوية الثقافية للعصر، بتأليف أبيات بليغة احتفلت بجمال العالم الطبيعي، وعبرت عن تقانيها للإيمان، وتعمق في تعقيدات التجربة الإنسانية. لا تزال الأعمال الأدبية من هذه الفترة تشهد على الإنجازات الفكرية والإبداعية للحجاز.

ربما كان من أبرز الإسهامات الأدبية في عصر بيبيرس الحفاظ على السجلات التاريخية ونشرها. سجل المؤرخون بدقة أحداث ذلك الوقت، وقدموا رؤى لا تقدر بثمن في المشهد الاجتماعي والسياسي والأوساط الثقافية. أتاحت هذه الروايات التاريخية نافذة على الماضي، وأثرت الذاكرة الجماعية للمنطقة ووفرت سياقاً للأجيال اللاحقة.

ظهرت التحف الفنية كرموز للنهضة الثقافية التي كشفت تحت رعاية بيبيرس. زينت المخطوطات المزخرفة والخط والتصاميم الهندسية المعقدة جدران المساجد والقصور والأماكن العامة، مما يعكس مزيجاً من الحساسيات الجمالية والتفاني الروحي. نتج عن تشجيع السلطان للتعبير الفني لغة بصرية يتردد صداها بعمق مع هوية وقيم الحجاز.⁵⁵

علاوة على ذلك، فإن إنشاء المراكز والمنشآت الثقافية سهل تبادل الأفكار والتعاون الفني. أصبحت هذه المنصات بوتقات تنصهر فيها الإبداع، حيث التقى الفنانون والعلماء والمفكرون لتبادل الأفكار وإلهام بعضهم البعض والمساهمة بشكل جماعي في إثراء المشهد الثقافي. أدى تضافر هذه التفاعلات إلى إضفاء الحيوية على الفنون، مما عزز روح الاستكشاف الإبداعي التي تركت بصمة دائمة.

في الأساس، كان تأثير بيبيرس على الثقافة والفنون في الحجاز دليلاً على فهمه للدور المتكامل الذي يلعبه الإبداع في تشكيل نسيج المجتمع. ساهمت رعايته ودعمه وتشجيعه لنهضة ثقافية وفنية احتفلت بثراء تراث المنطقة ومهدت الطريق لآفاق جديدة للتعبير. ونحن نفكر في هذه الفترة،

55 الصائغ، عبد الكريم، "العلاقات الدبلوماسية بين الدولة المملوكية في مصر ودول البحر الأبيض المتوسط في القرن الخامس عشر الميلادي" مقال نشر في مجلة جامعة بنغازي للدراسات الإنسانية، العدد 27، بنغازي، 2013.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

نعترف ببيرس كقائد صاحب رؤية استغل القوة التحويلية للفنون لإثراء التجربة الإنسانية وإلقاء الضوء على مسار التطور الثقافي.⁵⁶

الإرث الثقافي والديني:

يتخطى إرث السلطان ببيرس في الحجاز مرور الزمن، ويترك بصمة لا تمحى على النسيج الثقافي والديني للمنطقة التي لا تزال تتردد حتى يومنا هذا. ألفت مساهماته العميقة بظلالها الدائمة ، حيث شكلت هوية وقيم وتطلعات المجتمعات المعاصرة مع رعاية نسيج غني من التراث والإيمان. في عالم الثقافة، يتجلى إرث ببيرس في الحفاظ على التراث الثقافي للمنطقة وتنشيطه. دفعت رعايته للفنون والعمارة والأدب الحياة إلى نهضة إبداعية مزدهرة، مما أدى إلى إرث من الأعاجيب الفنية التي تقف كشهادة على اندماج الإبداع والروحانية. تعكس الروعة المعمارية للمساجد والقصور والأماكن العامة المزج المعقد بين الجماليات والإخلاص الديني، مما يتردد صداها مع الجمال الخالد الذي يستمر حتى يومنا هذا.

أرسى دعم ببيرس للمؤسسات التعليمية والمبادرات العلمية الأساس لثقافة الاستكشاف الفكري ونشر المعرفة. تستمر المؤسسات التعليمية التي أنشأها، والتي روجت للبرامج المتقدمة في مختلف التخصصات، في العمل كمنازل للتعلم، ورعاية المساعي الفكرية للأجيال. تظل المخطوطات والكتابات والسجلات التاريخية من عصره موارد لا تقدر بثمن تثري فهمنا للماضي وتلهم الحاضر دينياً، يتألق إرث ببيرس كمنازل للتسامح والتفاهم بين الأديان. شكلت جهوده لتعزيز الحوار والتعاون بين مختلف الطوائف الدينية سابقة للتعايش المتناغم. لقد استمر هذا الإرث من الشمولية واحترام المعتقدات المتنوعة، مما ساهم في سمعة المنطقة كنموذج للتناغم الديني الذي يتردد صده حتى في تعقيدات العالم المعاصر.⁵⁷ ترك تأكيد السلطان على الحوكمة الأخلاقية والعدالة الاجتماعية ورفاهية المجتمع بصمة لا تمحى على البوصلة الأخلاقية في المنطقة. شكل التزامه بهذه المبادئ سابقة للقيادة لا تزال ذات صلة وصدى حتى اليوم، حيث تسعى المجتمعات جاهدة لدعم قيم النزاهة والرحمة والتقدم المنصف.

56 الجوهري، محمد، "تاريخ الدولة المملوكية في مصر وسوريا والحجاز واليمن وليبيا" دار الكتاب العربي، بيروت، 1984. ص 214.

57 السباعي، ناصر "العلاقات الاقتصادية بين مصر والدولة المملوكية في ليبيا خلال عهد السلطان الظاهر ببيرس" مقال، نشر في مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 6، طرابلس، 2021.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

علاوة على ذلك، يجد إرث بيبيرس الثقافي والديني صدى في المبادرات الحديثة التي تحتفي بالتاريخ الثري للحجاز. تستمر المهرجانات الثقافية والمعارض والبرامج التعليمية في استلهام عصره، مما يسمح للأجيال الحالية بالتفاعل مع الماضي وإقامة علاقة أعمق بتراثهم. أن الإرث الثقافي والديني الذي خلفه السلطان بيبيرس في الحجاز هو شهادة دائمة على قيادته المستتيرة ونهجه البصيرة. تستمر مساهماته في تشكيل هوية وقيم المجتمعات المعاصرة، حيث تعمل كمنبع للإلهام للإثراء الثقافي والتفاهم بين الأديان والحوكمة الأخلاقية. بينما تتجول المجتمعات في تعقيدات العالم الحديث، يقف إرث بيبيرس كضوء هادي، يذكرنا بالقوة الدائمة للتراث والإيمان والقيادة المستتيرة في تشكيل مستقبل أكثر انسجامًا واستنارة. وفي الختام، نخرج من أعماق التاريخ بتقدير عميق لتأثير السلطان بيبيرس التحويلي على الحجاز. في هذه الرحلة الأسيرة، كشفنا النقاب عن نسيج منسوج بخيوط التنوير والحيوية الفكرية والانبعث الثقافي. من إنشاء المؤسسات التعليمية التي تنشئ العقول المتعطشة للمعرفة، إلى تعزيز الحوار الذي يسد الانقسامات الأيديولوجية، يضيء إرث السلطان بيبيرس في الحجاز كمنارة للإلهام. دفعت رعايته للفنون والأدب والهندسة المعمارية الحياة إلى نهضة إبداعية، وترك بصمة دائمة على الهوية الثقافية والدينية للمنطقة.⁵⁸

الاستنتاجات

لقد قمنا برحلات عبر ممرات الزمن، متتبعين آثار أقدام قائد ذو رؤية فهم التفاعل المعقد بين المعرفة والتقدم والإيمان والتنوير. لا يزال إرث جهود بيبيرس يتردد عبر العصور، ويؤثر على تطور الأفكار، ورعاية التراث، والتعايش المتناغم بين الثقافات المتنوعة. بينما نودع هذا الفصل، نواصل الدروس المستفادة من إرث بيبيرس الدائم في الحجاز. يعتبر إرثه بمثابة تذكير بأن الالتزام بالمعرفة والتعبير الفني والتفاهم بين الأديان والقيادة الأخلاقية يمكن أن يشكل مجتمعًا يزدهر على التنوير والرحمة والوحدة.

الخاتمة

58 الطرابلسي، علي، "العمارة الإسلامية في عهد السلطان الظاهر بيبيرس" مقال نشر في مجلة العمارة والتراث، العدد 10، بيروت، 2001، ص 51.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية Arab Journal for Humanities and Social Sciences

يقف عدد قليل من الشخصيات كمنارات مضيئة للتطوير الفكري والقيادة الحكيمة. السلطان بيبرس، أحد الحكام البارزين في عصره، يبرز كنموذج لامع يمتد إرثه إلى ما هو أبعد من حدود حكمه. من خلال تفانيه الذي لا يتزعزع لتعزيز المعرفة، وإنشاء المكتبات، وغرس ثقافة فكرية نابضة بالحياة، رسم بيبرس بصمة لا تمحى على نسيج التقدم البشري.

من قلب مصر إلى اتساع بلاد الشام وأراضي الحجاز المقدسة، امتد نفوذ بيبرس عبر المناطق، متجاوزاً الحدود والأجيال. إن دعمه للعلوم التقليدية والاستكشاف العقلي وترجمة الأعمال المتنوعة تجسد التزامه بتعزيز السعي الشامل للفهم. ترددت أصداً إنشاءه لمراكز البحوث والجامعات والمكتبات باعتبارها حجر الأساس للنمو العلمي ورعاية العقول واحتضان الأفكار المبتكرة.

لا يقتصر إرث السلطان بيبرس على صفحات التاريخ. إنه إرث دائم يستمر في تشكيل الحاضر وإلهام المستقبل. لقد تحملت الأسس العلمية والثقافية والتعليمية التي وضعها اختبار الزمن، حيث عملت كمحفزات لأجيال متعاقبة من المفكرين والباحثين والعلماء. المكتبات التي دافع عنها تقف كأثار حية لرؤيته، وتغري الفضوليين والمتعلمين لاجتياز قاعاتهم المقدسة بحثاً عن الحكمة والبصيرة.

عندما نتأمل في فصول حكم السلطان بيبرس، نجد صدى عميقاً مع الحاضر. في عصر تكون فيه المعلومات وفيرة ولكنها عابرة في كثير من الأحيان، فإن تفانيه في الحفاظ على المعرفة ونشرها بمثابة تذكير دائم بالقيمة الدائمة للمساعي الفكرية. يستمر تركيزه على التفكير النقدي والتبادل الثقافي ورفع الروح الإنسانية من خلال التعليم في إلهام الأفراد لرسم مناطق مجهولة من الفكر والاستكشاف.

يقف إرث السلطان بيبرس كمنارة للتطوير الفكري ونجم هادي لمن يجرؤ على الحلم والاستفسار والابتكار. إنها شهادة على الإمكانيات اللامحدودة للعقل البشري والقوة التحويلية للقيادة المكرسة لتقدم المعرفة. بينما تنتقل في تيارات الزمن، قد نستمد الإلهام من إرثه، واحتضان السعي وراء المعرفة وتمكين المكتبات كسمات مميزة دائمة للحضارة التي تعزز بالتنوير والحوار والتقدم.

في نسيج التاريخ الكبير، ترك عدد قليل من الأفراد إرثاً ثابتاً ومؤثراً مثل السلطان بيبرس. لقد ترك عهده، الذي تميز بالتزام لا يتزعزع بالمعرفة والتبادل الفكري وتمكين المكتبات، علامة لا تمحى على مسار التقدم البشري. بينما نرسم الضربات النهائية على قماش إرثه، نتذكر الصدى العميق الذي تواصل أفعاله تحمله في العالم الحديث.

كان نهج السلطان بيبرس البصري في التعليم والعلوم والثقافة بمثابة منارة للتطوير في عصره، حيث عزز بيئة ازدهر فيها العلماء والمفكرون والباحثون. إن تأسيسه للمراكز العلمية وجهوده في الترجمة ودعمه



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

للخطاب الفلسفي كان مثلاً على فهمه الشديد للدور المحوري الذي تلعبه المعرفة في تشكيل المجتمعات والنهوض بالحضارة.

لا تقف المكتبات التي دافع عنها السلطان بيبرس كمستودعات للحكمة المكتوبة فحسب، بل أيضاً كنصب تذكاري حي لرؤيته الدائمة. تستمر ملاذات التعلم هذه في إيواء التراث الفكري الجماعي للبشرية، ودعوة الأجيال الحالية والمستقبلية للمشاركة في رحلة خالدة من الاستكشاف والاكتشاف والنمو.

بينما نفكر في تنويع استكشافنا لعالم مساهمات السلطان بيبرس، ندرك أن إرثه يتجاوز حدود الزمان والجغرافيا. إنه بمثابة مصدر إلهام للقادة والعلماء والأفراد على حد سواء، حيث يحثنا على تبني التأثير العميق الذي يمكن أن يحدثه دعم التعليم والبحث العلمي والحفاظ على الثقافة على مسار تاريخ البشرية. يتردد صدى قصة السلطان بيبرس كدليل على قوة القائد المستتير الذي أدرك أن الثروة الحقيقية للحضارة لا تكمن في الثروة المادية وحدها، بل في ثروة الأفكار والاكتشافات والابتكارات التي تنبع من التربة الخصبة.

المصادر والمراجع:-

المصادر :

- 1- ابن العبري، ابو الفرج جمال الدين (ت 685 هـ / 1286 م)، تاريخ مختصر دول، بيروت، 1890م.
- 2- ابن النديم، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب (ت 383 هـ / 993 م أو 995 م): الفهرست، (بيروت، د.ت.
- 3- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت 874 هـ / 1469 م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م.
- 4- ابن جليل، سليمان بن حسان (ت بعد 384 هـ / 994 م)، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة، 1955 م.
- 5- ابن كثير، ابو الفداء، (ت 774 هـ / 1372 م)، البداية والنهاية، تحقيق احمد عبد الوهاب فتح الله، دار الحديث، القاهرة، 2005 م، ج 12، ص 274، ص 328، ج 13، ص 7.
- 6- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل، (ت 732 هـ / 1331 م)، المختصر في اخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ويحيى سيد حسين، ط 1، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج 4.
- 7- القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، 646 هـ / 1248 م، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، د.ت.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

المقريزي , المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار , القاهرة , مكتبة الثقافة الدينية , ط2, 1987م
360/2 – 390.

8-اليافعي، أبو محمد بن عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان، في كتابه "مرآة الجنان"، الجزء الرابع،
القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1413 هـ.
قائمة المراجع.

1- أحمد العباد، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت،
1969م.

2- البندقداري محمد عبد العزيز مرزوق " جامع الظاهر بيبرس "مقال بالمجلة التاريخية المصرية
- المجلد الثالث الجزء الأول.

3- تاج الدين عبد الوهاب السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب
العربي، القاهرة، 1948.

4- تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، لجنة التأليف والترجمة،
القاهرة، 1973.

5- جمال الدين الشيال "تاريخ مصر في العصر المملوكي الأول"، دار المعارف، بيروت، 2001.

6- حسن النفيسي "تاريخ الدولة العثمانية وسلوكياتها السياسية"، دار الفكر العربي، بيروت،
1985.

7- حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية،
1996، مصر.

8- سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ،القاهرة دار النهضة العربية، ط2،
1976م.

9- سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الايوبين والمماليك، (بيروت، دار النهضة
العربية، د.ط، د.ت).

10- سهيل طقوش - تاريخ المماليك ص ١٥٩.(دار النفائس ببيروت ١٩٩٧ م

11- عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، ط 1، دار النهضة العربية،
القاهرة، 1965 م.

12- عبد الرحمن الشاذلي مقال "العمارة الإسلامية في عهد السلطان الظاهر بيبرس"، نشر في
مجلة المعمار، العدد 54، القاهرة، 1996.



المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

- 13- عبد الرحمن الشربيني "تاريخ الدولة العثمانية"، دار الهلال، بيروت، 1991.
- 14- عبد الناصر كعدان، علاء الدين الصغير، الطب في عصر وبلاد الشام في العصر المملوكي.
- 15- عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، المعهد الألماني. للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009.
- 16- محمد جمال حامد الشوربجي: مجلس قراءة صحيح البخاري في قلعة الجبل في العصر المملوكي 648-923هـ/1250-1517م، دورية (كان التاريخية)، المجلد 6، العدد 22، ديسمبر 2013م.

